شروح المرجع المدرسي

شرح
زيارات النبي وأهل بيته
كنوز معرفة الله

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي

مركز الفكر الرسالي
للدراسات والأبحاث

شروح المرجع المدرسي

شرح
زيارات النبي وأهل بيته عليهم السلام
كنوز معرفة الله

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي

مركز الفكر الرسالي
للدراسات والأبحاث

محفوظة جميع الحقوق

هوية الكتاب:

* الكتاب: شرح زيارات النبي وأهل بيته عليهم السلام (كنوز معرفة الله).
* المؤلّف: المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد محمّد تقي المدرّسي (دام ظله).
* الطبعة: الأولى: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.
* الناشر: مركز الفكر الرسالي للدراسات والأبحاث.
* الإخراج الفني: الكليم جرافيك:

mohd.he@gmail.com
+973 36577227

مركز الفكر الرسالي للدراسات والأبحاث

www.resali.net
alfekralresali@gmail.com



﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾.

سورة النساء: ٦٩-٧٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ على بركة الله تعالى أحاديث متسلسلة عن الزيارات الواردة في الروايات الشريفة، وهنا لا بدَّ من بعض المقدّمات لبيان بعض الحقائق العامّة والهامّة في هذا الباب الواسع.

أوّلاً: حينما أمر الله عباده الصالحين من المسلمين بأن يزوروا النبيّ الأكرم ﷺ ويستغفر لهم الرسول، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا انْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾[1]، لم يكن ذلك خاصاً في عهد رسول الله ﷺ فقط، ولكن الرسول رحل عنّا والله سبحانه يقول: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَانَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[2]، والقرآن كتاب خالد عبر الأجيال، فأين نجد الرسول لنأتيه، ويستغفر لنا؟

الجواب: إنّما نجده في مرقده الشريف، فنأتيه زائرين، إذ ورد في بعض الزيارات التي نتلوها عند قبره الشريف: «**وَإِذْ لَمْ أَلْحَقْكَ حَيّاً فَقَدْ قَصَدْتُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ عَالِماً أَنَّ حُرْمَتَكَ مَيِّتاً كَحُرْمَتِكَ حَيّاً، فَكُنْ لِي بِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ شَاهِداً**»[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار الشيخ المجلسي، ج٩٧، ص١٦٠، زيارة النّبيّ ﷺ وسائر المشاهد في المدينة.

فنحن نزوره عند مرقده الشريف، ونستغفر الله عنده، ثمّ إنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد أورث هذه القداسة ونعمة الاستغفار عنده لأهل بيته الأطهار عليهم السلام، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿**قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾[2].

وهناك آيات عديدة في أهل البيت عليهم السلام لا سيما وأن علياً نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في آية المباهلة: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ**﴾[3]، والأئمّة المعصومون هم من الإمام علي عليه السلام نسباً، ومنهجاً، ورسالة.

وهذه السُّنَّة الشريفة -سُنّة الزيارة- كانت قائمة منذ صدر الإسلام، وكان الناس يزورون المراقد المشرفة، وحتّى في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان المسلمون يزورون مرقد سيد الشهداء -في عصره- حمزة بن عبدالمطلب، وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تزوره، وكان سائر المسلمين يزورونه، بل كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يزور البقيع، حتّى أنَّ آخر عمل قام به قبل انتقاله عن هذه الدنيا هي زيارة البقيع والاستغفار لأهله، فقد روي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لما مرض مرضه الّذي مات فيه خرج متعصّباً معتمداً على يد أمير المؤمنين عليه السلام والفضل بن العباس فتبعه الناس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أَيُّهَا النَّاسُ انَّهُ قَدْ آنَ مِنِّي خُفُوقِي -يَعْنِي رَحِيلِي-، وَقَدْ أُمِرْتُ انْ اسْتَغْفِرَ**

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

لِأَهْلِ البَقِيعِ»، ثمّ جاء ﷺ حتى دخل البقيع ثمّ قال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ التَّوْبَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الغُرْبَةِ، لِيُهْنِئْكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مَا النَّاسُ فِيهِ، أَتَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا**»، ثُم استغفر لهم وأطال الاستغفار[1].

وكلّ مراقد الأنبياء الموجودة في العالم كلّه يزورها المؤمنون بالله من جيمع الملل والأديان، وهذا ميراث قوله سبحانه وتعالى في سورة الكهف حاكياً عن أولئك المؤمنين الذين عثروا على أهل الكهف حيث قال: ﴿**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾[2]، فهذه الآية الكريمة لو تدبَّرنا فيها ملياً لعرفنا أنّ معنى ذلك هو أن نتجنَّب الشِّرك بكلّ ألوانه وكلّ أشكاله، ولكن بنفس الوقت لا يجوز لنا عند تجنُّب الشِّرك وكلّ ما يؤدِّي اليه أن نستهين بكبارنا، بل علينا أن نحترمهم، ونُجلَّهم، ونقدِّرهم أحياءً وأمواتاً.

وقد تسأل: كيف نحترم قبور الصالحين، ومراقد الأنبياء والأولياء، وفي نفس الوقت نبتعد عن الشرك؟

الجواب: الطريق إلى ذلك هو أن نزورهم، وفي نفس الوقت نُصلّي ونسجد لله عندهم، فالسجود لله والعبادة إنّما هي لكي نُبعد كلّ شائبة من الشرك، أمّا الزيارة فهي إكرامٌ وإعظامٌ لوليٍّ من أولياء الله بالزيارة عند قبره، وهذا بعيد عن الشرك لأنَّ العبادة والسجود لله سبحانه وتعالى.

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي، ج١، ص٣٣، وهو موجود في حديث أبو مويهبة، وأنس، وغيرهما في كتب العامّة المعتمدة لديهم.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢١.

ونحن في كلّ الكلمات التي نلتزم بها عند بيان مكانة الأنبياء وعظمتهم، لا ننسى أن نتّقي شبهة الشِّرك والغلو فيهم، فحينما نكرِّم رسول الله ﷺ وهو أفضل خلق الله نقول: «**أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ**»، فنؤكِّد على العبودية قبل الرسالة، كما أنّ عيسى بن مريم عليه السلام حينما أكرمه الله وأظهر آياته: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾[1]، فالعبودية تسبق الكتاب والنبوة والبركة، ولذا نحن نذهب إلى رسول الله ﷺ ونستغفر الله عند قبره الشريف، ليستغفر لنا الرسول ﷺ أيضاً.

وعليه فإنّنا لو درسنا الزيارات التي وردتنا عن أهل البيت الأطهار عليهم السلام عند مراقدهم الطاهرة، سنجد فيها هذه الخصوصية، ولأنّ المسألة أصبحت مدار جدل بين الفرق الإسلامية، فلا بدّ أن نتحدّث عن بعض الأمثلة في هذا السياق، خصوصاً أنّنا نعيش في عصرٍ غَزَتنا فيه الثقافة الجاهلية من جديد.

أوّلاً: الزيارات المعروفة بالزيارات الجامعة والتي يُزار بها عند قبور كلّ أهل البيت عليهم السلام، وأبرزها الزيارة الجامعة الكبيرة، وزيارة أمين الله لأمير المؤمنين عليه السلام، وغيرهما من الزيارات الجامعة التي يُزار بها جميع الأئمّة الأطهار في مراقدهم المشرفة، وهي تحمل مضامين عامّة تشملهم جميعاً.

الزيارة الجامعة الكبيرة

أمّا بالنسبة إلى الزيارة الأولى، وهي الزيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن الإمام الهادي عليه السلام [2]، فإنّنا نقرأ فيها كلّ صفاتهم ابتداءً بالإمام أمير

(١) سورة مريم، الآية: ٣٠ - ٣١.
(٢) مَن لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق، ج٢، ص٦٠٩.

المؤمنين عليه السلام وانتهاءً بالإمام المنتظر (عج)، ولكن كلّ هذه الصفات تتصل بالله، ولذلك تكرّرت كلمة الله في هذه الزيارة بشكل عجيب[١] كما لم تتكرر في أيّة زيارة أخرى، لكي لا تتبادر إلى ذهن الإنسان شبهة الشرك، فهم عباد الله الصالحون، وهم المقرّبون إلى الله، وهم الشفعاء والشهداء، وكلّها لله، ومن الله، وليست ذاتية وباستقلال منهم عليهم السلام.

الزيارة الجامعة الصغيرة

وأمّا الزيارة الثانية فهي الأخرى كذلك، لكنها تتميَّز عن الزيارة الأولى ببيان مصائب أهل البيت الأطهار عليهم السلام، ومصائب أمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، وهذه المصائب بنفسها دليل على أنّهم عباد مكرمون وممتحنون وليسوا بآلهة، ولا أنصاف آلهة، إذ ليس من المعقول أن يتعرَّض الإله أو نصف الإله لمصيبة، أو يتعرَّض لأذى في الدنيا، وفي الحديث الوارد عن الإمام العسكري عليه السلام أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام قال: «**إِنَّ مَنْ تَجَاوَزَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْعُبُودِيَّةَ فَهُوَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَمِنَ الضَّالِّينَ**»[٢]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَا تَتَجَاوَزُوا بِنَا الْعُبُودِيَّةَ، ثُمَّ قُولُوا فِينَا مَا شِئْتُمْ وَلَنْ تَبْلُغُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ كَغُلُوِّ النَّصَارَى فَإِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الغَالِينَ**»[٣].

وعن كامل التمار قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم، فقال لي: «**يَا كَامِلُ اجْعَلُوا لَنَا رَبّاً نَئُوبُ إِلَيْهِ، وَقُولُوا فِينَا مَا شِئْتُمْ**»، قال: فقلت: نجعل لكم ربّا تئوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ قال: فاستوى جالساً، فقال: «**مَا**

(١) تكرّر لفظ الجلالة أكثر من خمسين مرة في هذه الزيارة المباركة.
(٢) الاحتجاج الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٤٣٨.
(٣) الاحتجاج الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٤٣٨.

عَسَى أَنْ تَقُولُوا، واللهِ مَا خَرَجَ إِلَيْكُمْ مِنْ عِلْمِنَا إِلَّا أَلْفاً غَيْرَ مَعْطُوفَةٍ»[١]، وهذا واضحٌ وجليٌّ منهم عليهم السلام بأنّهم عباد الله المخلصون، والمكرَّمون، الذين جعلهم الله سبحانه وتعالى حُجَجاً على عباده، وحَفَظة لكتابه، وأمناء على دينه وشريعته.

الشفاعة

وأمّا الزيارات الأخرى -وهي الزيارات المخصوصة- نجدها تنبِّه إلى دور كلّ إمام في حياته، ومراعاته لشيعته ومحبيه، وهذه الناحية مهمَّة جداً لأنّها تعرِّفنا بدور الأئمّة في الشفاعة وفي استجابة الدعاء، وقضاء الحوائج، وكلّ ذلك وسيلة إلى الله، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَّ وَابْتَغُواْ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٢]، فهم الوسيلة إلى الله، وهم الشفعاء عند الله، كما هو مؤكّد في الروايات الشريفة عنهم عليهم السلام.

القدوة والأسوة

وفي زيارات أهل البيت عليهم السلام ذكرٌ لصفاتهم ومناقبهم، وفي قراءتها تحفيزٌ بتمثُّل هذه الصفات الفاضلة، فحينما نبيِّن صفاتهم فإنّنا نتأثّر بها في أنفسنا، وفي بعض الأحيان من غير أن نحس، فتُطهِّر قلوبنا، وتُزكِّي أنفسنا بأسهل وأيسر ما يكون، لأنّ البشر يتربّون بالاقتداء، فحينما تُتلى عليهم صفات الأولياء والعظماء فإنّهم وبصورة شبه طبيعية يتأثّرون بتلك الصفات، ولا شكّ أنّ التحلّي بالصفات المُثلى والفضائل الكبرى صعبٌ، ولكنّه يسهل

(١) مختصر البصائر للصفار، ج١، ص١٨٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

ويتيسّر كثيراً ببركتهم وبركة أنوارهم وفضائلهم.

توثيق العلاقة بأهل البيت عليهم السلام

إنّنا عند زيارة أهل البيت عليهم السلام تزداد علاقتنا بهم، وقربنا منهم، وكلّما اقتربت روح الإنسان من روح إنسان آخر -سواء كان حيّاً بين الناس، أو حيّاً عند الله- استفاد من روحه، أي تمثّل به بصورة عفوية، فإذا وجدتَ أنّك تؤمن بالشجاعة والبطولة والعطاء والعبادة، وسائر الصفات الفاضلة، وتجد أنّ الملايين من المؤمنين -وبالذات المتّبعين لأهل البيت الأطهار عليهم السلام- يتحلّون بهذه الصفات المثلى، فاعلم أنّها تكرّست في نفسك وفي نفوسهم هذه بسبب الزيارات الشريفة.

فعند الزيارة، وعند التقرّب إلى الله بمحبة هؤلاء الكرام، وعند معرفة صفاتهم الربانية، تنتقل هذه الصفات بصورة عفوية إلى الزائر، باعتبار أنّ روح الزائر تتّصل بطريقة أو بأخرى بروح المزور، فتفيض هذه الصفات من روح المزور على روح الزائر.

وهكذا نستوحي من الكلمات الواردة في الزيارات الشريفة أنّ المسلمين جميعاً -وبالذات أولياء أهل البيت عليهم السلام والشيعة الكرام- فيهم صفة الوفاء، وهذه الصفة -في الحقيقة- صفة عالية جداً، وربما تكون صفة نادرة عند البشر، فالوفاء بالعهد، والوفاء لأصحاب الحق، صعب جداً في البشر، ولكن صفة الوفاء راسخة في نفوسنا وقلوبنا وأرواحنا نحن كمسلمين -وكشيعة بالذات-.

وإذا بحثت عميقاً في أسباب رسوخ هذه الصفة تجد أنّ من الأسباب الرئيسية هي معرفتنا بأبي الفضل العباس عليه السلام -مثلاً- وزيارتنا له، وكيف

أنّه ضرب أروع الأمثلة في الوفاء لأخيه، وواسى أخاه بكلّ كيانه ووجوده المبارك.

وتكرار هذه الزيارة، ومعرفة هذه الصفة عند سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام الذي نحبُّه ونُكرمه أشد الإكرام، يُرسّخ هذه الصفة في أنفسنا، وكذلك صفة العبادة، فحينما تقرأ صفات أهل البيت عليهم السلام وكيف كانوا يجتهدون إلى الله في تقرُّبهم وطاعتهم، ينتقل ذلك كلّه إليك وأنت تقرأ الزيارة بكلّ فكرك، وعقلك، وقلبك، وكيان وجودك، لتنصهر في كلماتها، وتتّصل روحك بالمزور الذي تقف بكلّ إجلال وإكبار أمام ضريحه المقدس.

*****

بصائر وفوائد

١. الزيارات المخصوصة، تنبِّه إلى دور كل إمام في حياته، ورعايته لشيعته ومحبّيه، وهذه الناحية مهمَّة جداً لأنّها تعرِّفنا بدور الأئمّة في الشفاعة وفي استجابة الدعاء، وقضاء الحوائج.

٢. يتربّى البشر عبر الاقتداء بالصالحين، فحينما تُتلى عليهم صفات الأولياء والعظماء فإنّهم وبصورة طبيعية يتأثّرون بتلك الصفات.

٣. عند الزيارة وعند التقرّب إلى الله بمحبّة هؤلاء الكرام، وعند معرفة صفاتهم الربّانية، تنتقل هذه الصفات بصورة عفوية إلى الزائر، باعتبار أنّ روح الزائر تتصل بطريقة أو بأخرى بروح المزور، فتفيض هذه الصفات من روح المزور على روح الزائر.

الفصل الأول



زيارات المعصومين عليهم السلام





(1)



زيارة الرسول الأكرم ﷺ



في بدء حديثنا عن الزيارات المأثورة نلقي نظرة خاطفة عن زيارة رسول الله ﷺ، لنعرف أنّ هذه الزيارات تكرِّس عقائدنا الصحيحة بالنسبة إلى مَنْ نزورهم.

ففي بداية زيارة رسول الله ﷺ نسلِّم عليه ونعرِّفه:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ»[1].

بعد ذلك نشهد له بأنّه قام بحمل الرسالة بأفضل وجه، وبلَّغها كاملة:

«أَشْهَدُ انَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ».

وبعد ذلك نقرّ بالفرائض التي تعلّمناها منه وأخذناها عنه ونشترك معه ﷺ في إقامتها:

«وَأَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ».

ثمّ التأكيد على عبوديّته بعبادته لربّ العالمين، لتكون العبادة والطاعة لله وحده لا شريك له، ويكون الرسول الأكرم ﷺ قدوتنا وأسوتنا في ذلك:

---

(١) مصباح الزائر، ج١، ص٤٤، زيارته ﷺ.

«وَعَبَدْتَ اللهَ حَتَّى أَتَاكَ اليَقِينُ فَصَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّاهِرِينَ».

بيان صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

ثمّ نذكر بعض صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فهناك زيارات كثيرة تذكر تلك الصفات الجليلة له، ولذا يجدر بنا أن نبدأ بالحمد على أعظم نعمة مَنَّ الله بها علينا:

«اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي اسْتَنْقَذَنَا بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَالضَّلَالَةِ»(١).

ثمّ الدعاء للرسول الأكرم والصلاة عليه فنقول:

«اَللَّهُمَّ فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ، وَصَلَوَاتِ مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، وَمَنْ سَبَّحَ لَكَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ وَأَمِينِكَ وَنَجِيِّكَ وَحَبِيبِكَ وَصَفِيِّكَ وَخَاصَّتِكَ وَصَفْوَتِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ».

وفي هذه الزيارة إشارة إلى الآية الكريمة التي ذكرناها في المقدمة، وأنّ الحضور عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدعاء والتوبة والإنابة جزءٌ من التوسّل به إلى الله:

«اللَّهُمَّ أَعْطِهِ الدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ مِنَ الجَنَّةِ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٢)، وَإِنِّي أَتَيْتُ

(١) الكافي الشيخ الكليني، ج٤، ص٥٥٠، باب دخول المدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدعاء عند قبره.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

نَبِيَّكَ مُسْتَغْفِراً تَائِباً مِنْ ذُنُوبِي، وَإِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكَ لِيَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي».

وهذه الحقيقة تُعتبر بصيرة أساسية في منظومة بصائر القرآن الكريم فيما يرتبط بأولياء الله.

(2)

زيارة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

نتحدَّث هنا عن زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. والإمام علي عليه السلام هو محور إيماننا بالولاية، والنقطة المركزية في اتّباع خط أهل البيت عليهم السلام، وبتعبير أدق هو محور التشيّع.

فكما أنّ الإسلام يتمحور حول الإيمان بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كذلك الإيمان أو التشيّع يتمحور حول شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وولايته، ليس لأنّ الإمام أمير المؤمنين جُمعت فيه كلّ الصفات المثلى، وهو العظيم في ملكوت السماوات والأرض، وهو قسيم الجنة والنار، وهو ساقي حوض الكوثر فحسب، بل وإنّما لأنّه سيّد الأئمّة المعصومين عليهم السلام ووالدهم أيضاً.

ومَنْ لا يُؤمن به كيف يتسنَّى له الإيمان بسبطي الرَّحمة الحسن والحسين، وسائر الأئمّة الهداة المهديين إلى الإمام الحجّة بن الحسن **(عجل الله تعالى فرجه الشريف)**؟

وبالرغم من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَ اللهَ إِلَّا أَنَا وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَنِي إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَكَ إِلَّا اللهُ وَأَنَا**»[1]، ولكنّنا بحاجة إلى أن نغرف من بحر معرفته العظيم بقدرنا، وبقدر نصيبنا، لأنّنا كلّما ازددنا معرفة به عرفنا:

---

(١) مختصر البصائر للصفار، ج١، ص٣٣٦.

أوّلاً: الولاية وأثرها في حياتنا كلّها.

ثانياً: سائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وبمعرفتهم يكتمل الدِّين، ولذا -وقبل أن نبدأ بالحديث عن الزيارة المباركة- نقول: إنّ علياً عليه السلام هو محور زيارة أمين الله، والزيارة الجامعة اللتين سوف نتحدّث عنهما.

ولهذه الزيارة جملة من الآداب التي ذكرها الفقهاء والمحدِّثون، وبالذات ذكرها المحدّث الكبير الشيخ عباس القمي رحمه الله في كتابه المعروف (**مفاتيح الجنان**)[1].

فهناك دعاء عند الخروج من المنزل.

ودعاء عند الوصول إلى خندق الكوفة.

وكذلك دعاء عند بلوغ حصن النجف الأشرف، ثمّ حين الوقوف على باب الصَّحن الشَّريف، وبعد الدخول في الصَّحن، كلّ هذه المقدمات في الواقع ضرورية وإنّها معروفة من ناحية الحقائق الخارجية.

ونبدأ من حيث يقول المحدِّث القمي: ثمّ امشِ حتّى تقف على باب الرَّواق، ثمّ تقول:

«اَلسَّلامُ عَلى رَسُولِ اللهِ أَمِينِ اللهِ عَلى وَحْيِهِ، وَعَزائِمِ أَمْرِهِ، الخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ، وَالْمُهَيْمِنِ عَلى ذلِكَ كُلِّهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

فنسلِّم على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونزوره عند زيارتنا لعلي عليه السلام، لأنّه هو

(١) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص٤٢٢، وما بعدها.

نفس رسول الله[١]، ولأنّ ولاية أمير المؤمنين هي ولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء بسواء، ولذلك نقول في هذا السياق مسلِّمين على النبيّ الأعظم:

«السَّلامُ عَلَى صَاحِبِ السَّكينَةِ، السَّلامُ عَلَى المَدْفُونِ بِالمَدينَةِ، السَّلامُ عَلَى المَنْصُورِ المُؤَيَّدِ، السَّلامُ عَلى أَبِي القاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

وهذا النصّ في الزيارة مذكور في بعض زيارات النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٢]، ثمّ بعد الدخول إلى الرَّواق نتشهَّد الشهادتين تأكيداً على الإيمان الناصع ونقول:

«أَشْهَدُ أنْ لا إلـهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جاءَ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ وَصَدَّقَ المُرْسَلينَ».

ومرة أخرى نسلِّم على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَبيبَ اللهِ وَخِيَرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وبعد أن نختم زيارة النبيّ نبدأ ونتوجَّه إلى أمير المؤمنين ونقول:

«اَلسَّلامُ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنينَ عَبْدِ اللهِ وَأَخي رَسُولِ اللهِ».

ونخاطبه بقلب منكسِر، وعين دامعة:

«يا مَوْلايَ يا أَميرَ المُؤْمِنينَ، عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ امَتِكَ، جاءَكَ مُسْتَجيراً بِذِمَّتِكَ، قاصِداً إِلى حَرَمِكَ، مُتَوَجِّهاً إِلى مَقامِكَ، مُتَوَسِّلاً إِلى اللهِ تَعالى بِكَ».

---

(١) إشارة إلى آية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٦١).

(٢) البلد الأمين، ج١، ص٢٧٧.

وهذه هي أهداف الزيارة:

- الاستجارة بذمَّة الإمام علي عليه السلام.
- التوجّه إلى مقامه عند الله.
- والتوسّل به إلى الله سبحانه وتعالى.

ثمّ نستأذن بالدخول ونقول:

«أَأَدْخُلُ يا مَوْلايَ، أأدْخُلُ يا أميرَ المُؤْمِنينَ، أأدْخُلُ يا حُجَّةَ اللهِ، أأدْخُلُ يا أمينَ اللهِ، أأَدْخُلُ يا مَلائِكَةَ اللهِ المُقيمينَ في هذَا المَشْهَدِ، يا مَوْلايَ أتَأْذَنُ لي بِالدُّخُولِ أفْضَلَ ما أذِنْتَ لأَحَد مِنْ أوْلِيائِكَ؟ فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لَهُ أهْلاً فَأَنْتَ أهْلٌ لِذلِكَ».

نحن حينما نستأذن الدخول عند أمير المؤمنين عليه السلام كما نستأذن كل المعصومين عليهم السلام عند زيارتهم، فإنّ معنى ذلك أنّنا نستحضر في قلبنا وعقلنا أنّ الإمام عليه السلام حيٌّ عند الله يُرزق، وأنّنا لا نزور الضريح الشريف، ولا القبَّة النورانية، ولا الحرم المبارك، وإنّما نزور شخص الإمام عليه السلام، وهذا الاستحضار المباشر يجعلنا أقرب إلى الإمام من ذي قبل، ثمّ نقول:

«بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَفي سَبيلِ اللهِ، وَعَلى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، اللّـهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْني وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ».

فنحن ندخل باسم الله، ونتوكّل على الله، ونعمل في سبيل الله، ونسير على ملَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه كلّها تشكّل عنوان حركة المؤمن في كلّ زمان ومكان.

ثمّ إذا وصلنا إلى القبر الشريف، نستقبله بوجوهنا ونقول:

«السَّلَامُ مِنَ اللهِ عَلى مُحَمَّد رَسُولِ اللهِ، أمينِ اللهِ عَلى وَحْيِهِ وَرِسالاتِهِ، وَعَزائِمِ أمْرِهِ، وَمَعْدِنِ الوَحْيِ وَالتَّنْزيلِ، الخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالفاتِحِ لِما اسْتُقْبِلَ، وَالمُهَيْمِنِ عَلى ذلِكَ كُلِّهِ، الشّاهِدِ عَلَى الخَلْقِ، السِّراجِ المُنيرِ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهُ وَبَرَكاتُهُ».

وهكذا نكرّر -وللمرة الثالثة في زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام- ذِكْر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للتأكيد على وحدة المزور في عالم الملكوت، لأنّ نور النبيّ والوصيّ واحد[1]، وكما جاء في حديث شريف: **«خُلِقَ النَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَخُلِقْتُ أَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ»**[2].

ثمّ نزور أهل البيت الأطهار عليهم السلام فنقول:

«اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَأَهْلِ بَيْتِهِ المَظْلُومينَ؛ أفْضَلَ وَأَكْمَلَ وَأَرْفَعَ وَأَشْرَفَ ما صَلَّيْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أَنْبيائِكَ وَرُسُلِكَ وَأَصْفِيائِكَ».

فهذه الكلمات والصلوات ليست متوجّهة لشخص الإمام علي عليه السلام فقط، وإنّما لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً، ثمّ نقول:

«اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى أَميرِ المُؤْمِنينَ، عَبْدِكَ وَخَيْرِ خَلْقِكَ بَعْدَ نَبِيِّكَ، وَأَخي رَسُولِكَ، وَوَصِيِّ حَبيبِكَ، الَّذي انْتَجَبْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ، وَالدَّليلِ عَلى مَنْ بَعَثْتَهُ

---

(١) شرح الأخبار، ج١، ص٢٢٠، روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام بِأَرْبَعَةِ آلَافِ عَامٍ، فَرُكِّبَ ذَلِكَ فِيهِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ حَتَّى افْتَرَقْنَا فِي صُلْبِ عَبْدِ المُطَّلِبِ».

(٢) عيون الأخبار، ج٢، ص٧٣، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا عَلِيُّ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى وَخُلِقْتُ أَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، أَنَا أَصْلُهَا وَأَنْتَ فَرْعُهَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَغْصَانُهَا، وَشِيعَتُنَا أَوْرَاقُهَا، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ».

بِرِسالاتِكَ، وَدَيّانِ الدِّينِ بِعَدْلِكَ وَفَصْلِ قَضائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

ونشهد للإمام عند الله سبحانه وتعالى بأنّه أخو رسول الله، وأنّه وصيه، وأنّه الذي انتجبه واختاره الله ليكون خليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه آية من آيات الرسالة، ودليل على بعثة النبيّ، وأنّه كان يحكم في الدِّين وما فيه من عدل، لا يحيد عنه قيد أنملة، وله كلمة الفصل في القضاء بين الناس.

وهذه الصلاة والصلوات المشابهة تدلُّ على أنّ عقيدتنا في الإمام علي عليه السلام وفي كلّ الأنبياء عقيدة واضحة بأنّهم عباد الله المكرَّمين، وأنّهم الوسلية إلى الله، وليست فيهم أيّ شائبة من الشرك، فلا نغالي بحقهم وبشأنهم.

ثمّ نؤكّد إيماننا بذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من صلب علي عليه السلام، وبالتالي الإيمان بالأئمّة المعصومين، ونقول:

«اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلَى الأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ، القَوّامينَ بِأَمْرِكَ مِنْ بَعْدِهِ، المُطَهَّرينَ الَّذينَ ارْتَضَيْتَهُمْ أَنْصاراً لِدينِكَ، وَحَفَظَةً لِسِرِّكَ، وَشُهَداءَ عَلى خَلْقِكَ، وَأَعْلاماً لِعِبادِكَ، صَلَواتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ».

بعد أن شهدنا للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، وبيَّنّا مدى كرامة الإمام عليّ عليه السلام عند الله، ثمّ بيَّنّا ولاءنا لسائر الأئمّة عليهم السلام، نخاطب الإمام علي ونقول:

«اَلسَّلامُ عَلى أَميرِ المُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب، وَصِيِّ رَسُولِ اللهِ وَخَليفَتِهِ، وَالقائِمِ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ، سَيِّدِ الوَصِيّينَ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

والزيارة تذكِّرنا بالصدِّيقة الطَّاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنّها في الحقيقة كفؤ عليٍّ عليه السلام، ويحقّ لنا في زيارة الأئمّة أن نذكر فاطمة الزهراء عليها السلام ونزورها، لأنّ الكثير منّا قد حُرم من زيارتها بسبب أو بآخر في المدينة المنورة،

فنقول:

«اَلسَّلامُ عَلى فاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ».

ثمّ نزور الحسنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام والأنبياء والمرسلين عليهم السلام ونقول:

«اَلسَّلامُ عَلَى الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ عَلَى الأَئِمَّةِ الرّاشِدِينَ، السَّلامُ عَلَى الأَنْبِياءِ وَالمُرْسَلِينَ، السَّلامُ عَلَى الأَئِمَّةِ المُسْتَوْدِعِينَ، السَّلامُ عَلى خاصَّةِ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، السَّلامُ عَلَى المُتَوَسِّمِينَ».

وهذه من صفات الأئمّة عليهم السلام.

وهنا يفيض السلام إلى المؤمنين الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام الذين قاموا بدور كبير في الجهاد في سبيل الله وفي سبيل النبيّ ﷺ وأهل بيته:

«اَلسَّلامُ عَلَى المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قامُوا بِأَمْرِهِ، وَوازَرُوا أَوْلِياءَ اللهِ، وَخافُوا بِخَوْفِهِمْ».

ثمّ نسلِّم على الملائكة وعلى عباد الله الصالحين:

«السَّلَامُ عَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، السَّلامُ عَلَيْنا وَعَلى عِبادِ اللهِ الصّالِحِينَ».

ونجد من خلال هذه الزيارات؛ أنّ المؤمن يزور سائر المقرَّبين إلى الله من الملائكة والصدِّيقين من الشيعة والصالحين منهم، والأئمّة المعصومين، والصديقة الطاهرة، وبعد كلّ هذه التمهيدات والمقدِّمات نتوجّه إلى زيارة أمير المؤمنين فنقول:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَبِيبَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا صَفْوَةَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللهِ».

و(صفوة الله) يعني أنّ الله اصطفاه واجتباه واختاره من خلقه.

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا إمامَ الهُدى، السَّلامُ عَلَيْكَ يا عَلَمَ التُّقى، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الوَصِيُّ البَرُّ التَّقيُّ، وَالنَّقيُّ الوَفِيُّ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبَا الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا عَمُودَ الدّينِ».

وهذه الكلمة الأخيرة تدلُّ على أنّ الولاية الكبرى ولاية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام تعتبر محور الدين كلّه وعموده.

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَ الوَصِيّينَ، وَأَمينَ رَبِّ العالَمينَ، وَدَيّانَ يَوْمِ الدِّينِ، وَخَيْرَ المُؤْمِنينَ، وَسَيِّدَ الصِّدّيقينَ، وَالصَّفْوَةَ مِنْ سُلالَةِ النَّبِيّينَ، وَبابَ حِكْمَةِ رَبِّ العالَمينَ، وَخازِنَ وَحْيِهِ، وَعَيْبَةَ عِلْمِهِ، وَالنّاصِحَ لأُمَّةِ نَبِيِّهِ، وَالتّالِي لِرَسُولِهِ، وَالمُواسي لَهُ بِنَفْسِهِ، وَالنّاطِقَ بِحُجَّتِهِ، وَالدّاعِي إلى شَرِيعَتِهِ، وَالماضِي عَلى سُنَّتِهِ».

هنا نعود ونبيِّن مدى اتصال نور علي عليه السلام بنور النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لكي لا تكون شُبهة في أنّ الإمام علي هو في مقام النبي، كلا؛ بل الإمام علي هو امتداد للنبيّ بكلّ ما تعنيه الكلمة، فنشهد شهادة حق أنّه قد بلَّغ عن الله وعن رسوله ما حُمِّل، ورعى ما استحفظ، وحفظ ما استودع، وهذه الكلمات في الوقت التي هي شهادة على صفات أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله، هي دعوة لنا في أن نتمثل هذه الصفات الربانية، فنقول:

«اَللّـهُمَّ إِنّي اشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنْ رَسُولِكَ ما حُمِّلَ».

والإمام علي عليه السلام حمل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم ينفتح له من كلّ باب ألف باب[1].

---

(١) كتاب سُليم، ج٢، ص٩١٢، قَالَ سُلَيْمٌ: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: «عَلَّمَنِي رَسُولُ الله أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ» فلم أشكّ أنّه عليه السلام صادق، ولم أسأل عن ذلك أحداً.

«وَرَعى مَا اسْتُحْفِظَ، وَحَفِظَ مَا اسْتُودِعَ، وَحَلَّلَ حَلالَكَ، وَحَرَّمَ حَرامَكَ، وَأَقامَ أَحْكامَكَ، وَجاهَدَ النّاكِثِينَ في سَبيلِكَ، وَالقاسِطينَ في حُكْمِكَ، وَالمارِقينَ عَنْ أَمْرِكَ».

فقد جاهد الإمام علي عليه السلام الذين نكثوا البيعة وحاربوه في معركة الجمل في البصرة، وكذلك جاهد القاسطين الذين ظلموه وهو معاوية وجيشه في معركة صفين، كما واجه المارقين وهم الخوارج في معركة النهروان. وفي كلّ هذه التحديات كان:

«صابِراً مُحْتَسِباً لا تَأْخُذُهُ فيكَ لَوْمَةُ لائِم. اللّـهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلى أَحَد مِنْ أَوْلِيائِكَ، وَأَصْفِيائِكَ، وَأَوْصِياءِ أَنْبِيائِكَ».

ثمّ نقول بعد ما نستحضر كلّ هذه الحقائق والبصائر:

«اَللّـهُمَّ هذا قَبْرُ وَلِيِّكَ الَّذي فَرَضْتَ طاعَتَهُ، وَجَعَلْتَ في أَعْناقِ عِبادِكَ مُبايَعَتَهُ، وَخَليفَتِكَ الَّذي بِهِ تَأْخُذُ وَتُعْطي، وَبِهِ تُثيبُ وَتُعاقِبُ، وَقَدْ قَصَدْتُهُ طَمَعاً لِما أَعْدَدْتَهُ لأَوْلِيائِكَ، فَبِعَظيمِ قَدْرِهِ عِنْدَكَ، وَجَليلِ خَطَرِهِ لَدَيْكَ، وَقُرْبِ مَنْزِلَتِهِ مِنْكَ، صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَافْعَلْ بِي ما أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّكَ أَهْلُ الكَرَمِ وَالجُودِ».

وعبارة (وَافْعَلْ بِي ما أَنْتَ أَهْلُهُ) تجمع كلّ الأدعية الصالحة، ثمّ نعود ونسلِّم عليه وعلى النبيّين آدم ونوح المدفونيين هناك، فنقول:

«وَالسَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ وَعَلى ضَجيعَيْكَ آدَمَ وَنُوح وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

الدعاء بعد الزيارة

إنَّ الزيارة تطوّرٌ روحيٌّ كبيرٌ للعارف بحقّ الإمام، ولذا نجد في كلّ زيارة من

هذه الزيارات المأثورة منظومة متكاملة من الحقائق الروحية والمعارف الإلهية.

وفي نهاية زيارة الإمام أمير المؤمنين نقرأ دعاءً نحتاجه جميعاً، ونقول:

«يا مَوْلايَ إِلَيْكَ وُفُودي، وَبِكَ أَتَوَسَّلُ إلى رَبّي فِي بُلُوغِ مَقْصُودي، وَأَشْهَدُ أَنَّ المُتَوَسِّلَ بِكَ غَيْرُ خائِب، وَالطّالِبَ بِكَ عَنْ مَعْرِفَة غَيْرُ مَرْدوُد إِلّا بِقَضاءِ حَوائِجِهِ، فَكُنْ لِي شَفيعاً إِلَى اللهِ رَبِّكَ وَرَبّي فِي قَضاءِ حَوائِجي، وَتَيْسيرِ أُمُوري، وَكَشْفِ شِدَّتي، وَغُفْرانِ ذَنْبي، وَسَعَةِ رِزْقي، وَتَطْويلِ عُمْري، وَإِعْطاءِ سُؤْلي فِي آخِرَتي وَدُنْيايَ».

وهكذا يجمع الزائر منظومة من التطلّعات التي يريدها، والحاجات التي يحتاجها، والرغبات التي يطلبها في زيارته، ويسأل الله أن يقضيها ببركة الإمام وبشفاعته.

ثمّ يأتي دور التبرّي ولعن قتلة أمير المؤمنين عليه السلام، لأنَّ الولاء لعلي عليه السلام بل الولاء للدين كلّه لا يصفو إلّا بالبراءة من الأعداء، فعقيدتنا في التبرّي من أعداء الله هو صنو التولّي لأوليائه، ولذا نقول:

«اللّـهُمَّ العَنْ قَتَلَةَ أَميرِ المُؤْمِنينَ، اللّـهُمَّ العَنْ قَتَلَةَ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، اللّـهُمَّ العَنْ قَتَلَةَ الأَئِمَّةِ وَعَذِّبْهُمْ عَذاباً أَليماً لا تُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العالَمينَ، عَذاباً كَثيراً لَا انْقِطاعَ لَهُ وَلا أَجَلَ وَلا أَمَدَ بِما شاقُّوا وُلاةَ أَمْرِكَ، وَأَعِدَّ لَهُمْ عَذاباً لَمْ تُحِلَّهُ بِأَحَد مِنْ خَلْقِكَ».

«اللّـهُمَّ وَأَدْخِلْ عَلى قَتَلَةِ أَنْصارِ رَسُولِكَ، وَعَلى قَتَلَةِ أَميرِ المُؤْمِنينَ، وَعَلى قَتَلَةِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، وَعَلى قَتَلَةِ أَنْصارِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، وَقَتَلَةِ مَنْ قُتِلَ في وِلايَةِ آلِ مُحَمَّد أَجْمَعينَ عَذاباً أَليماً مُضاعَفاً فِي أَسْفَلِ دَرَك مِنَ الجَحيم، لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذابُ وَهُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ مَلْعُونُونَ، ناكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، قَدْ

عايَنُوا النَّدامَةَ وَالخِزْيَ الطَّويلَ لِقَتْلِهِمْ عِتْرَةَ أَنْبيائِكَ وَرُسُلِكَ وَأَتْباعَهُمْ مِنْ عِبادِكَ الصّالِحِينَ، اللّـهُمَّ العَنْهُمْ في مُسْتَسِرِّ السِّرِّ، وَظاهِرِ العَلانِيَةِ في أَرْضِكَ وَسَمائِكَ».

وفي نهاية الزيارة والدعاء نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يثبِّتنا على ولايتهم والتَّبرّي من أعدائهم:

«اللّـهُمَّ اجْعَلْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ فِي أَوْلِيائِكَ، وَحَبِّبْ إِلَيَّ مَشاهِدَهُمْ وَمُسْتَقَرَّهُمْ حَتّى تُلْحِقَني بِهِمْ، وَتَجْعَلَني لَهُمْ تَبَعاً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ».

وهناك زيارة للإمام الحسين عند قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ نعود إلى زيارة أمير المؤمنين فنقول:

«اَلسَّلامُ عَلى أَبِي الأَئِمَّةَ، وَخَليلِ النُّبُوَّةِ، وَالمَخْصُوصِ بِالأُخُوَّةِ. السَّلامُ عَلى يَعْسُوبِ الدِّينِ وَالإِيْمانِ، وَكَلِمَةِ الرَّحْمنِ. السَّلامُ عَلى ميزانِ الأَعْمالِ، وَمُقَلِّبِ الأَحْوالِ، وَسَيْفِ ذِي الجَلالِ، وَساقِي السَّلْسَبيلِ الزُّلالِ. السَّلامُ عَلى صالِحِ المُؤْمِنينَ، وَوارِثِ عِلْمِ النَّبِيّينَ، وَالحاكِمِ يَوْمَ الدِّينِ. السَّلامُ عَلى شَجَرَةِ التَّقْوى، وَسامِعِ السِّرِ وَالنَّجْوى. السَّلامُ عَلى حُجَّةِ اللهِ البالِغَةِ، وَنِعْمَتِهِ السّابِغَةِ، وَنِقْمَتِهِ الدّامِغَةِ. السَّلامُ عَلَى الصِّراطِ الواضِحِ، وَالنَّجْمِ اللاّئِحِ، وَالإِمَامِ النّاصِحِ، وَالزِّنادِ القادِحِ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

ثمّ نصلّي على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع بيان صفاته المثلى فنقول:

«اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَخِي نَبِيِّكَ وَوَلِيِّهِ وَوَصِيِّهِ وَوَزِيرِهِ، وَمُسْتَوْدَعِ عِلْمِهِ، وَمَوْضِعِ سِرِّهِ، وَبَابِ حِكْمَتِهِ، وَالنَّاطِقِ بِحُجَّتِهِ، وَالدَّاعِي إِلَى شَرِيعَتِهِ، وَخَلِيفَتِهِ فِي أُمَّتِهِ، وَمُفَرِّجِ الكَرْبِ عَنْ وَجْهِهِ، قَاصِمِ

الكَفَرَةِ، وَمُرْغِمِ الفَجَرَةِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مِنْ نَبِيِّكَ بِمَنْزِلِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»[1].

إلى آخر ما ورد في كتب الأدعية والزيارات المعروفة.

*****

بصائر وفوائد

١. كما أنّ الإسلام يتمحور حول الإيمان بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كذلك الإيمان أي التشيّع يتمحور حول شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وولايته.

٢. نزور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عند زيارتنا لعلي عليه السلام لأنّه هو نفس النبيّ، ولأنّ ولايته هي ولاية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سواء بسواء.

٣. حينما نستأذن للدخول إلى مراقد الأئمّة الأطهار عليهم السلام فإنّ معنى ذلك أنّنا نستحضر في قلبنا وعقلنا أنَّ الإمام عليه السلام حيٌّ عند الله يرزق، وأنّنا لا نزور الضريح الشريف، ولا القبَّة النورانية، ولا الحرم المبارك، وإنّما نزور شخص الإمام عليه السلام.

٤. ندخل باسم الله، ونتوكّل على الله، ونعمل في سبيل الله، ونسير على ملَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه هي عنوان حركة المؤمن في كلّ زمان ومكان.

---

(١) مصباح الزائر، ج١، ص١١٨.

(3)



زيارة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام



حينما يمنُّ الله عليك بالإيمان، فإنّ هذا الإيمان كنزٌ غنيٌّ بالبصائر، ولكن كيف تكتشف هذه البصائر؟

الجواب: تكتشفها إمّا عبر قراءة القرآن الكريم، أو النَّظر إلى آيات الله في الخلق، أو عبر الأدعية المأثورة، وكلّما قرأت الدعاء بخضوع وخشوع، وفي أوقات وحالات مناسبة فإنّك تزداد بصيرة ومعرفة بالله سبحانه وتعالى.

وحينما منَّ الله عليك بمعرفة النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم والتسليم لهم فإنّك بحاجة إلى ما يجعل هذه المعرفة تزداد رسوخاً، وتتشعب إلى معارف جانبية تتّصل برؤيتك إلى الحياة، وعبر قراءة الزيارات المأثورة يُرجى أن تترسَّخ بصائرك فيما يتّصل بمعرفة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام. تلك المعرفة التي هي شرط قبول الأعمال، فكلّما ازدادت تلك المعرفة ازدادت فرصتنا في قبول طاعاتنا، وترسّخت علاقتنا بالله تعالى.

ومن ذلك زيارة الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، والتي قد نقرأها عند حرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في روضته، أو في البقيع. أليست فاطمة قد أُخفي قبرها بحكمة بالغة، قد تتمثّل في بيان مدى مظلوميتها؟

إنّها زيارة مختصرة ولكنّها عظيمة في مضمونها، لأنّها تحتوي على مجموعة كبيرة من القيم المثلى.

وتضمّ هذه الزيارة بصيرة قد لا نجدها في سائر زيارات المعصومين عليهم السلام؛ وهي أنّ الله سبحانه وتعالى امتحن فاطمة عليها السلام قبل أن يخلقها، أي قبل أن يخلقها في هذه الدنيا، والامتحان قد تمَّ في العوالم السابقة، فوجدها كما أراد سبحانه وتعالى، وهذه البصيرة هامَّة جداً لأنّها تدلّ على أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام خُلقوا في عوالم سابقة[1]، وقد تدرَّجوا في معارف الكمال إلى الله في تلك العوالم، ثمّ مَنَّ الله تعالى بهم علينا بعدما كانوا مُحدِقين بعرشه، لتكون ولايتُنا لهم طهارةً لنا وتزكيةً لنفوسنا[2]، ثمّ نطلب أن تشفع لنا عند الله لأنّنا قد آمنَّا بالله وبالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبها، واتّبعنا الرسول وبعلها وأبناءها الطاهرين عليهم السلام.

الزيارة الشَّريفة المختصرة

نقرأ في زيارة الصدِّيقة الطاهرة من عند الروضة الشريفة فنقول:

«يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صَابِرَةً».

---

(١) الكافي الشيخ الكليني، ج١، ص٤٤٠، روي عن أبي عبد اللهَّ عليه السلام أنّه قال: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي خَلَقْتُكَ وَعَلِيّاً نُوراً، يَعْنِي رُوحاً بِلَا بَدَنٍ، قَبْلَ أَنْ اخْلُقَ سَمَاوَاتِي وَأَرْضِي وَعَرْشِي وَبَحْرِي، فَلَمْ تَزَلْ تُهَلِّلُنِي وَتُمَجِّدُنِي، ثُمَّ جَمَعْتُ رُوحَيْكُمَا فَجَعَلْتُهُمَا وَاحِدَةً فَكَانَتْ تُمَجِّدُنِي وَتُقَدِّسُنِي وَتُهَلِّلُنِي، ثُمَّ قَسَمْتُهَا ثِنْتَيْنِ وَقَسَمْتُ الثِّنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ فَصَارَتْ أَرْبَعَةً: مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ، وَعَلِيٌّ وَاحِدٌ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثِنْتَانِ، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ ابْتَدَأَهَا رُوحاً بِلَا بَدَنٍ، ثُمَّ مَسَحَنَا بِيَمِينِهِ فَأَفْضَى نُورَهُ فِينَا».

(٢) وسيأتي بيان ذلك في الزيارة الجامعة الكبيرة إن شاء الله تعالى.

أي وجدكِ الله صابرةً على أمره، محتسبةً في قضائه.

«وَزَعَمْنَا أَنَّا لَكِ أَوْلِيَاءُ وَمُصَدِّقُونَ، وَصَابِرُونَ لِكُلِّ مَا أَتَانَا بِهِ أَبُوكِ ﷺ وَأَتَى بِهِ وَصِيُّهُ، فَإِنَّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاكِ إِلَّا أَلْحَقْتِنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمَا لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوِلَايَتِكِ».

إنَّ تصديقنا للصدِّيقة الزهراء عليها السلام وبما جاء به أبوها، أو بلَّغه وصيه، إنّ هذا التصديق هو وسيلة لإلحاقنا بهما وطهارتنا بولايتهما عليهما السلام.

وقد جاءت العبارة الأخيرة في كتاب المزار للشيخ المفيد هكذا:

«وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ إِذْ كُنَّا مُصَدِّقِينَ لَهُم أَنْ تُلْحِقَنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمْ بِالدَّرَجِ العُلْيَا لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوَلَايَتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»[1]، فبدل **(إنْ)** جاءت كلمة **(إذ)**، فيكون المعنى: باعتبارنا قد صدَّقنا النبيّ والعترة، وهو إقرارٌ بالتصديق لهم، وهو الأقرب عندي معنى ودلالة، فإنّا نسأل الله تعالى بإزاء تصديقنا لهم أن يُلحقنا بالنبيّ وبوصيّه وبابنته الطاهرة **«لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا»** وأن يطهّرنا ربّنا بذلك.

فنحن بهذه الكلمات القصيرة بيَّنا أعلى فضائل الزهراء عليها السلام؛ وهي اختيار الله لها من عالم سابق، وضرورة أن نكون في نفس الطريق.

وهناك زيارة مفصَّلة لفاطمة الزهراء عليها السلام تتضمّن الصلاة عليها، وعلى روحها، وأنَّ مَنْ سرَّها فقد سرَّ رسول الله ﷺ، ومَنْ آذاها فقد آذى رسول الله، ومَنْ وَصَلَها فقد وَصَلَ رسول الله، ثمّ تؤكّد على أبعاد الولاء الذي ينبغي أن نشهد به فيما ينبغي ويتَّصل بعقيدتنا بالصِّديقة الزهراء عليها السلام.

---

(١) المزار، ص١٧٨.

الزيارة المفصَّلة

وفي هذه الزيارة المفصّلة للصديقة الطاهرة، نقرأ عدداً من البصائر:

في البدء نسلِّم على الصدِّيقة الطَّاهرة، مع بيان انتسابها وعظمة أبيها وبعلها وبنيها، إذ نقول[1]:

«السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ نَبِيِّ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ حَبِيبِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ خَلِيلِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ صَفِيِّ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ أَمِينِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ أَفْضَلِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ خَيْرِ البَرِيَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ العَالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا زَوْجَةَ وَلِيِّ اللهِ، وَخَيْرِ الخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا أُمَّ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ».

وبعد ذلك نبيِّن صفاتها عليها السلام ونقول:

«السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الصِّدِّيقَةُ الشَّهِيدَةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الرَّضِيَّةُ المَرْضِيَّةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الفَاضِلَةُ الزَّكِيَّةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الحَوْرَاءُ

(١) قال الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) ج٢، ص٥٧٢: (اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، فمنهم من روى أنّها دفنت في البقيع، ومنهم من روى أنّها دفنت بين القبر والمنبر وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّما قال: «ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة» لأنّ قبرها بين القبر والمنبر، ومنهم من روى أنّها دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد، وهذا هو الصحيح عندي، وإنّي لما حججت بيت الله الحرام كان رجوعي على المدينة بتوفيق الله تعالى ذكره، فلمّا فرغت من زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصدت إلى بيت فاطمة عليها السلام وهو من عند الأسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل عليه السلام إلى مؤخر الحظيرة التي فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقمت عند الحظيرة ويساري إليها، وجعلت ظهري إلى القبلة واستقبلتها بوجهي وأنا على غسل وقلت: «السلام عليكِ يا بنت رسول الله...».

الإِنْسِيَّةُ».

وهنا لا بدَّ من كلمة فنقول: فاطمة عليها السلام هي حوراء[1]، ولكن ربّنا سبحانه وتعالى جعلها من الإنس لكي نقتدي بها.

«السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْمُحَدَّثَةُ العَلِيمَةُ».

وتعني عبارة **«الْمُحَدَّثَةُ العَلِيمَةُ»** أنَّ الملائكة كانت تُحدِّثها عليها السلام.

ثمّ تُبيِّن الزيارة مدى مظلوميتها ومعاناتها عليها السلام من بعد أبيها في هذه الحياة الدنيا، وما لاقته من الظلم والاضطهاد والقهر:

«السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَى رُوحِكِ وَبَدَنِكِ، أَشْهَدُ انَّكِ مَضَيْتِ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكِ».

هذه الشهادة -في الحقيقة- تعني أنَّ علينا أن نتخذ من الصدِّيقة الطاهرة قدوة لنا في حياتنا، لأنّها كانت على بيِّنة من أمرها، أي كانت بأعلى درجات الإيمان والتقوى واليقين، ثمّ نقول:

«وَأَنَّ مَنْ سَرَّكِ فَقَدْ سَرَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم **، وَمَنْ جَفَاكِ فَقَدْ جَفَا رَسُولَ اللهِ .**

وهذه شهادتنا بما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق ابنته فاطمة عليها السلام: **«إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ أَحَبَّهَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ سَرَّهَا فَقَدْ**

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج١، ص٢١١، عن سلمان الفارسي قال: قالت بعض أزواج النبيّ: يا رسول الله، ما لك تحبّ فاطمة حبّاً ما تحبّه أحداً من أهل بيتك؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: **«إِنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ انْتَهَى بِي جَبْرَئِيلُ** عليه السلام **إِلَى شَجَرَةِ طُوبَى، فَعَمَدَ إِلَى ثَمَرَةٍ مِنْ أَثْمَارِ طُوبَى فَفَرَكَهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ثُمَّ أَطْعَمَنِيهِ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَشِّرُكَ بِفَاطِمَةَ مِنْ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَلَمَّا أَنْ هَبَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَكَانَ الَّذِي كَانَ فَعَلِقَتْ خَدِيجَةُ بِفَاطِمَةَ، فَإِذَا أَنَا اشْتَقْتُ إِلَى الْجَنَّةِ أَدْنَيْتُهَا فَشَمِمْتُ رِيحَ الْجَنَّةِ، فَهِيَ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ»**.

سَرَّنِي»[١].

وكذلك: «**وَمَنْ آذَاكِ فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَنْ وَصَلَكِ فَقَدْ وَصَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ**».

فالإيمان بفاطمة عليها السلام، وبأنّها حجّة من حجج الله، والتواصل معها بالزيارات، كالتواصل مع رسول الله ﷺ.

«**وَمَنْ قَطَعَكِ فَقَدْ قَطَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؛ لِأَنَّكِ بَضْعَةٌ مِنْهُ، وَرُوحُهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**».

إنَّ فاطمة بضعة من رسول الله ﷺ كما صرَّح بذلك رسول الله[٢]، وهي في نفس الوقت روح رسول الله[٣].

ثمّ نُشهد الله والأنبياء والملائكة على أنّنا راضون عمّن رضيتْ السيدة الزهراء عنه وساخطون على من سخطتْ عليه:

«**أُشْهِدُ اللهَ وَرُسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ أَنِّي رَاضٍ عَمَّنْ رَضِيتِ عَنْهُ، سَاخِطٌ عَلَى مَنْ سَخِطْتِ عَلَيْهِ**».

ونحن هنا في مجال التولِّي والتبرِّي؛ نوالي مَنْ والاها، ونتبرَّأ ممَّن أسخطها:

«**مُتَبَرِّئٌ مِمَّنْ تَبَرَّأْتِ مِنْهُ، مُوَالٍ لِمَنْ وَالَيْتِ، مُعَادٍ لِمَنْ عَادَيْتِ، مُبْغِضٌ لِمَنْ**

---

(١) شرح الأخبار، ج٣، ص٣٠.

(٢) شرح الأخبار، ج٣، ص٦١، قال ﷺ: «**انَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي مَنْ اغْضَبَهَا اغْضَبَنِي**».

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج١، ص٤٦٦، عن مجاهد قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال: «**مَنْ عَرَفَ هَذِهِ فَقَدْ عَرَفَهَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا فَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ قَلْبِي وَرُوحِيَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ، فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ**».

أَبْغَضْتِ، مُحِبٌّ لِمَنْ أَحْبَبْتِ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً وَحَسِيباً، وَجَازِياً وَمُثِيباً»[1].

نسأل الله سبحانه أن يحشرنا معها، وننال شفاعتها، وصلى الله على محمّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

*****

بصائر وفوائد

١. يزداد الإنسان بصيرة ومعرفة بربِّه عبر قراءة القرآن الكريم، والنَّظر إلى آيات الله في الخلق، والمداومة على الأدعية المأثورة، وكلّما قرأتَ الدُّعاء بخضوع وخشوع، وفي أوقات وحالات مناسبة فإنّك تزداد بصيرة ومعرفة بالله سبحانه وتعالى.

٢. المعرفة شرط لقبول الطاعات، وكلّما زادت معرفتنا ازدادت فرصنا في قبول طاعاتنا، والزيارات المأثورة هي طريقنا لمعرفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

٣. في زيارة الزهراء عليها السلام بصيرة قد لا نجدها في سائر زيارات النبيّ وأهل بيته عليهم السلام؛ وهي أنّ الله سبحانه وتعالى امتحن فاطمة عليها السلام قبل أن يخلقها في هذه الدنيا، والامتحان قد تمَّ في العوالم السابقة.

---

(١) تهذيب الأحكام الشيخ الطوسي، ج٦، ص١٠.

(4)

زيارة الإمام الحسين عليه السلام
(تأمّلات في زيارة عاشوراء)

عندما نزور سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام نتذكّر المصيبة التي وردت عليه، وأنّها مصيبة لا تخصُّ أهل الأرض فقط، بل هي كانت عظيمة على أهل السماوات أيضاً، وشملت كلّ المخلوقات، وكلّ العوالم، حيث نقرأ في بعض فقرات زيارة عاشوراء، «**مُصِيبَة مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الإِسْلَامِ وَفِي جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**»[1].

وهذه الكلمة عظيمة، حتى وإن تعوَّدنا عليها، إذ إنّنا لو تأمّلنا في خلق الله، وما خلق سبحانه من خلق في السموات والأرض، وما فيها من عالَم الملائكة لوجدناه عالَماً كبيراً وواسعاً، بحيث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تشييع السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام كان يرفع قدماً ويتأنّى في وضع الأخرى، فلمّا سألوه عن ذلك قال: «**أَمَّا التَّأَنِّي فِي وَضْعِ أَقْدَامِي فِي حَالِ تَشْيِيعِ الجَنَازَةِ فَلِكَثْرَةِ ازْدِحَامِ المَلَائِكَةِ**»[2].

ويقول الامام الصادق عليه السلام: «**كَأَنِّي بِالمَلَائِكَةِ واللهِ قَدْ ازْدَحَمُوا المُؤْمِنِينَ عَلَى**

(١) مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، ج٢، ص٧٧٥.
(٢) الفضائل لابن شاذان، ج١، ص١٠٢.

قَبْرِ الحُسَيْنِ عليه السلام، فقيل له: فيتراءون له؟ قال: «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، قَدْ لَزِمُوا واللهِ المُؤْمِنِينَ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَمْسَحُونَ وُجُوهَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ» قَالَ: **«وَيُنْزِلُ اللهُ عَلَى زُوَّارِ الحُسَيْنِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً مِنْ طَعَامِ الجَنَّةِ وَخُدَّامُهُمُ المَلَائِكَةُ، لَا يَسْأَلُ اللهَ عَبْدٌ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ»**[1]، فهذا العالَم الكبير وما فيه من حشود الملائكة يضج لمقتل الحسين عليه السلام ولمصائب أهل بيته.

ولم تكن تلك المصائب خاصّة بما وقع في كربلاء يوم عاشوراء، بل بدأت منذ رحيل النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا، حيث تغيَّرت دفَّة الحكم والسلطان شيئاً فشيئاً حتى وصل الأمر إلى التسلّط التام لبني أميّة الطلقاء، مما أدَّى للتمهيد لمقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا ما نقرأه في زيارة عاشوراء، حيث نقول:

«وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ، وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللهُ فِيهَا، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللهُ المُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ».

فزيارة عاشوراء وثيقةٌ يوقّع عليها كلّ يوم مَنْ أراد أن يؤكّد على ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وبراءته من أعدائهم، لذلك تجد في هذه الزيارة قولنا:

«فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ»[2].

مما يدلُّ على أنّ بداية الانحراف هو انحراف السلطة السياسية، فحين تنحرف السلطة عن ولاية الله إلى ولاية الشيطان، فإنّ ذلك سيكون له آثار سلبية كثيرة، ولذا قالوا: **«إِذَا فَسَدَ السُّلطَانُ فَسَدَ الزَّمَانُ»**، ولذلك فإنّنا في

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه، ج١، ص١٣٥.

(٢) نصوص زيارة عاشوراء ننقلها من **(مفاتيح الجنان)** ومن **(كامل الزيارات)**، ج١، ص١٧٤ **(باختلاف في بعض العبارات)**.

هذه الزيارة نلعن «**أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ**» ونلعن الممهّدين لهم بالتمكين من ذلك، لأنّه حينما انحرفت القيادة، وسيطر الموتورون على مقادير الأمّة، أولئك الذين وترهم الإسلام من بني أميّة بسيف الإمام علي عليه السلام في يوم بدر وأُحد والأحزاب (**الخندق**)، وفي معركة الفتح وغزوة حُنين، فحينما سيطروا على مقدّرات الأمّة بأحقادهم، صبُّوا نار غضبهم على أهل البيت عليهم السلام.

هذه كانت -في الحقيقة- سبباً لكلّ المصائب التي وردت على أهل البيت عليهم السلام، وبالذات مصيبة كربلاء في يوم عاشوراء، ومن هنا فإنّنا نتبرّأ منهم جميعاً، فنقول:

«**بَرِئْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيائِهِمْ**».

فنبرأ من كلّ مَنْ ينتمي إلى خط الانحراف والضلالة، نتبرّأ منهم جملة وتفصيلاً.

ثمّ في فقرة أخرى تدلُّ على ضرورة الإحساس بالانتماء إلى حزب الله، وإلى أنصار الله وأولياء الله، نقول:

«**يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».

ونؤكّد على أنّ هذا الانتماء ليس مختصّاً باليوم، وإنّما هو انتماؤنا وعقيدتنا الثابتة والراسخة إلى يوم القيامة.

وهذا يعني أنّنا نريد أن نستقيم على هذا الخط الإلهي والولاية الرَّبّانية إلى يوم القيامة، وهذه الإرادة يجب أن لا تبقى في إطار التمنِّي فقط، وإنّما ينبغي أن تتحوّل إلى برنامج عمل لكي نتحدَّى كلّ الضغوط التي تحاول زعزعة انتمائنا إلى أهل البيت عليهم السلام.

بعد ذلك يكون الحديث بصورة تفصيلية عن الذين حاربوا الإمام الحسين عليه السلام؛ وهم آل زياد وآل مروان وبنو أمية. وقد ذُكِر في الزيارة بعض العناصر الخاصّين منهم كابن مرجانة الدَّعي ابن الدَّعي، وعمر بن سعد بن أبي وقاص الذي باع آخرته بدنيا غيره، وشمر بن ذي الجوشن الذي ارتكب تلك الجريمة الفظيعة التي لا مثيل لها في التاريخ.

ونحن نخصّ هؤلاء -قادة النفاق والضلال- بالذكر، وكذلك الذين كانوا معهم وشكّلوا الجيش الأموي، وهم على أقل التقادير ثلاثون ألف مقاتل، فنتبرّأ منهم لأنّهم جميعاً شركاء في الجريمة:

«وَلَعَنَ اللهُ آلَ زِيَادٍ، وَآلَ مَرْوَانَ، وَلَعَنَ اللهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً، وَلَعَنَ اللهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ، وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ، وَلَعَنَ اللهُ شَمِراً، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقِتَالِكَ».

و(**تَنَقَّبَتْ**) من النِّقاب الذي كان يستخدمه بعض المحاربين لإخفاء شخصيا تهم .

ثمّ نقول:

«بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ، فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إمامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ».

ونحن بالإضافة إلى تأكيد انتمائنا وولايتنا لهم، نطلب من الله أن يكرمنا بأمر عظيم ذي خطرٍ؛ وهو بأن نكون من المطالبين بثارات الإمام الحسين عليه السلام مع إمامٍ مهديٍّ من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. وبالرغم من أنَّ الإمام الحسين عليه السلام استُشهد وصعد إلى الجنّة، وأنَّ أعداءه سيقوا إلى النار، إلّا أنّ خط الإمام

الحسين عليه السلام ونهضته ومنهجه يتجلّى فينا إن شاء الله تعالى، ولذا نطلب من الله أن يوفّقنا لنكون كذلك.

كما أنَّ خط أعدائه موجود ويتمثّل في من يتولّى الشيطان ويدخل في ولايته، وهكذا نحن نكرِّس ولاية أهل البيت الأطهار في أنفسنا، بتولّيهم والبراءة من أعدائهم.

ثمّ نقول في فقرة أخرى من فقرات الزيارة:

«يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُوَالَاتِكَ، وَبِالبَرَاءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الحَرْبَ، وَبِالبَرَاءةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَساسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَساسَ ذلِكَ وَبَنى عَلَيهِ بُنْيانَهُ، وَجَرى فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلى أَشْياعِكُمْ، بَرِئْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ».

ثمّ نؤكّد على هذا الانتماء وهذه الولاية الإلهيّة بقولنا:

«وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُمْ، وَمُوالاةِ وَلِيِّكُمْ، وَالبَراءةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ، وَالنَّاصِبِينَ لَكُمْ الحَرْبَ، وَبِالبَراءةِ مِنْ أَشْيا عِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ. إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاكُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُمْ».

ولأنّ شياطين الجن والإنس يحاولون جاهدين أن يزيحونا عن هذه القمَّة السامقة التي وفّقنا الله لها، لذلك نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يثبّتنا عليها فنقول:

«فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ، وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ، وَرَزَقَنِي البَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

ولعلّ أعظم ما في هذه الزيارة المباركة هو هذا التطلّع الذي نجده عند الصالحين من عباد الله المخلِصين، وهو ما نقوله في الزيارة الشريفة:

«وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي المَقَامَ المَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمامٍ هُدىً ظاهِرٍ ناطِقٍ بِالحَقِّ مِنْكُمْ، وَأَسْأَلُ اللهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا أَعْطَى مُصَاباً بِمُصِيبَتِهِ».

هكذا يطمح المؤمن بأن يتكامل حتى يكون رفيقاً لأهل البيت عليهم السلام، وفي درجاتهم ومقامهم.

وهذه الصفة هي التي نقرأها في قوله سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾**[1]، فالدخول في عباد الله يعني الدخول في جملة الموالين لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في الجنّة، ونحن نقرأ في آية أخرى في كتاب الله المجيد: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾**[2]، فإذا كان طموح المؤمن بهذا المستوى فإنّه سوف يستسهل كلّ صعب، ولا يتراجع مهما كانت الصعوبات، لأنّ هدفه عظيم.

ومن تطلّعات المؤمن أنّه يسأل الله أن يرزقه الأجر العظيم جداً بمصيبة الإمام الحسين عليه السلام، فلذا نقول:

«وَأَسْأَلُ اللهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مايُعْطِي مُصاباً بِمُصِيبَتِهِ، مُصِيبَةً ما أَعْظَمَها وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَها فِي الإِسْلامِ وَفِي جَمِيعِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ».

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٧ – ٣٠.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٤ – ٥٥.

والكلمة التالية تدلُّ على ذلك:

«اَللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةً وَمَغْفِرَةٌ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

فمَنْ كان هدفه أن يصل إلى هذا الموقع المتقدّم، بأن تكون حياته حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، ومماته ممات النبي وأهل بيته، فإنّ ذلك سيكون حافزاً له أبداً للمضي بالأعمال الصالحة، وتكون حياته مليئة بالإنجازات.

وفي ختام هذه الزيارة الشريفة نؤكّد التبرّي من الشجرة الملعونة في القرآن وهي بنو أمية[1]، وأشخاص من أئمّة الكفر كأبي سفيان ومعاوية ويزيد، وكذلك التبرّي من آل زياد وآل مروان لأنّهم فرحوا بقتلهم الإمام الحسين عليه السلام، فنقول:

«اللّهُمَّ إِنَّ هذا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ، وَابْنُ آكِلَةِ الأَكْبادِ، اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ، عَلى لِسانِكَ وَلِسانِ نَبِيِّكَ صَلّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ صَلّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ. اللّهُمَّ العَنْ أَبا سُفيانَ وَمُعاوِيَةَ وَيَزِيدَ بْنَ مُعاوِيَةَ، عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الآبِدِينَ».

ونحن في كلّ مناسبة نتبرّأ منهم، ومن ثمّ نوالي النبيّ وأهل بيته عليهم السلام، وفي ختام الزيارة نلعن الظالمين الذين أسَّسوا أساس الظلم والجور على أهل

---

(١) الصحيفة السجادية، ص١٠، عن عليٍّ عليه السلام: إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَذَتْهُ نَعْسَةٌ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِهِ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ رِجَالاً يَنْزُونَ عَلَى مِنْبَرِهِ نَزْوَ الْقِرَدَةِ، يَرُدُّونَ النَّاسَ عَلَى أَعْقَابِهِمُ الْقَهْقَرَى، فَاسْتَوَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَالِساً وَالْحُزْنُ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً**﴾، يَعْنِي بَنِي أُمَيَّةَ. وفي الدُّر المنثور؛ السيوطي، ج٤، ص١٩١، روايات عديدة قريبة من هذا المضمون.

البيت مائة مرّة، حيث نقول:

«اللَّهُمَّ العَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ. اللَّهُمَّ العَنِ العِصَابَةَ الَّتِي حَارَبَتِ الحُسَيْنَ، وَشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ أَعْدَاءَهُ عَلَى قَتْلِهِ وَقَتْلِ أَنْصَارِهِ، اللَّهُمَّ العَنْهُمْ جَمِيعاً».

ثمّ نسلم مائة مرّة على الإمام الحسين عليه السلام والشهداء من حوله، فنقول:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ وَعَلَى الأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ، عَلَيْكُمْ مِنِّي سَلَامُ اللهِ أَبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا جَعَلَهُ اللهُ آخِرَ العَهْدِ مِنْ زِيَارَتِكُمْ. السَّلَامُ عَلَى الحُسَيْنِ، وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ، وَعَلَى أَصْحَابِ الحُسَيْنِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين».

وبالنهاية نخصُّ أئمّة الكفر باللعن ونذكر بعض أسمائهم:

«اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ آلَ نَبِيِّكَ بِاللَّعْنِ، ثُمَّ العَنْ أَعْدَاءَ آلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ. اللَّهُمَّ العَنْ يَزِيدَ وَأَبَاهُ، وَالعَنْ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ وَبَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

بعد ذلك نسجد ونحمد الله حمد الشاكرين على مصابهم، ولعلّ هذا الحمد من أسمى أنواع الحمد، لأنّ الذي يشكر الله على المصاب فهو لا يرضى بالمصاب فحسب، وإنّما يكون في مرتبة متقدّمة من المعنويات حيث يشكر الله عليه، أي أنّ معرفته قد وصلت إلى اليقين بأنّ الله يُقدِّر لعباده الصالحين ما يصلح لهم في دنياهم وأُخراهم. ثمّ نسأل الله تعالى أن يرزقنا شفاعة الحسين عليه السلام في يوم الورود عليه، وأن يثبِّت لنا قدم صدق معه، فنقول ونحن ساجدون:

«اَللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ عَلَى مُصَابِهِمْ. الحَمْدُ للهِ عَلَى عَظِيمِ مُصَابِي

وَرَزِيَّتِي فِيهِمْ. اللَّهُمَّ اُرْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ، وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عليه السلام صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ».

*****

بصائر وفوائد

١. مع عظم مصيبة كربلاء، إلّا أنّها سُبقت بمصائب أخرى مهَّدت لها، تلك التي بها تغيّرت دفة الحكم، وسيطر بنو أمية على مقدرات الأمّة.

٢. إنّنا نريد أن نستقيم على هذا الخط الإلهي، والولاية الرَّبانية إلى يوم القيامة، وهذه الإرادة يجب أن لا تبقى في إطار التمنِّي فقط، وإنّما تتحوّل إلى برنامج عمل لكي نتحدَّى كلّ الضغوط التي تحاول زعزعة انتمائنا إلى أهل البيت عليهم السلام.

٣. نحمد الله حمد الشاكرين على مصابهم، ولعلّ هذا الحمد من أسمى أنواع الحمد لأنّ من يشكر الله على المصاب فهو لا يرضى به فحسب، وإنّما يشكره عليه، ممّا يعني اليقين بأنّ الله يُقدِّر للصالحين ما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم.

(5)

زيارة الإمام الحسين عليه السلام
(زيارة وارث)

زيارة وارث هي من أكثر زيارات سيد الشهداء عليهم السلام شهرة، وهي مرويَّة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول صفوان -أحد أصحاب الإمام البارزين -: استأذنتُ الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، فسألته أن يعرِّفني ما أعمل عليه، فقال:

«يَا صَفْوَانُ! صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قَبْلَ خُرُوجِكَ، وَاغْتَسِلْ فِي اليَوْمِ الثَّالِثَ، ثُمَّ اجْمَعْ إِلَيْكَ أَهْلَكَ، ثُمَّ قُلِ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ اليَوْمَ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوُلْدِي وَمَنْ كَانَ مِنِّي بِسَبِيلٍ، الشَّاهِدَ مِنْهُمْ وَالغَائِبَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاحْفَظْنَا بِحِفْظِ الإِيمَانِ وَاحْفَظْ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا فِي حِرْزِكَ، وَلَا تَسْلُبْنَا نِعْمَتَكَ، وَلَا تُغَيِّرْ مَا بِنَا مِنْ عَافِيَتِكَ، وَزِدْنَا مِنْ فَضْلِكَ، إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَمِنْ كَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وَمِنْ سُوءِ المَنْظَرِ فِي النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حَلَاوَةَ الإِيمَانِ وَبَرْدَ المَغْفِرَةِ، وَآمِنَّا مِنْ عَذَابِكَ إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ، وَآتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَإِذَا أَتَيْتَ الفُرَاتَ بِالعَلْقَمِيِّ فَقُلْ:

اللَّهُمَّ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ وَفَدَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ، وَأَنْتَ سَيِّدِي أَكْرَمُ مَقْصُودٍ، وَأَفْضَلُ مَزُورٍ، وَقَدْ جَعَلْتَ لِكُلِّ زَائِرٍ كَرَامَةً وَلِكُلِّ وَافِدٍ تُحْفَةً، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ تُحْفَتَكَ إِيَّايَ فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَقَدْ قَصَدْتُ وَلِيَّكَ وَابْنَ نَبِيِّكَ، وَصَفِيِّكَ وَابْنَ صَفِيِّكَ، وَنَجِيِّكَ وَابْنَ نَجِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ وَابْنَ حَبِيبِكَ، اللَّهُمَّ فَاشْكُرْ سَعْيِي، وَارْحَمْ مَسِيرِي إِلَيْكَ بِغَيْرِ مَنٍّ مِنِّي عَلَيْكَ، بَلْ لَكَ المَنُّ عَلَيَّ إِذْ جَعَلْتَ لِيَ السَّبِيلَ إِلَى زِيَارَتِهِ، وَعَرَّفْتَنِي فَضْلَهُ، وَحَفِظْتَنِي فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّى بَلَّغْتَنِي هَذَا المَكَانَ، اللَّهُمَّ فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى نَعْمَائِكَ كُلِّهَا، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مِنَنِكَ كُلِّهَا.

ثُمَّ اغْتَسِلْ مِنَ الفُرَاتِ، فَإِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا الحُسَيْنُ يُقْتَلُ بَعْدِي عَلَى شَاطِئِ الفُرَاتِ، فَمَنْ زَارَهُ وَاغْتَسَلَ مِنَ الفُرَاتِ تَسَاقَطَتْ خَطَايَاهُ كَهَيْئَةِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». فَإِذَا اغْتَسَلْتَ فَقُلْ فِي غُسْلِكَ:

«**بِسْمِ اللهِ وَباللهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ نُوراً، وَطَهُوراً، وَحِرْزاً، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسُقْمٍ وَآفَةٍ وَعَاهَةٍ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي، وَاشْرَحْ بِهِ صَدْرِي، وَسَهِّلْ لِي بِهِ أَمْرِي**»[1].

وهذا الدُّعاء وما أشبهه هو بمثابة نيَّة الغُسل، حيث يشير إلى الأهداف العليا التي يريد أن يحقّقها الإنسان المؤمن بهذا الغُسل وبهذه الزيارة، وربّنا

(١) مصباح المتهجد، ج٢، ص٧١٧.

الكريم يعطيه بفضله وكرمه كلّ ما يُصلِح شأنه إن شاء الله تعالى.

ثمّ تضيف الرواية الشريفة:

«فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ غُسْلِكَ فَالبَسْ ثَوْبَيْنِ طَاهِرَيْنِ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ خَارِجَ المَشْرَعَةِ، وَهُوَ المَكَانُ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجٰاوِرٰاتٌ وَجَنّٰاتٌ مِنْ أَعْنٰابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوٰانٌ وَغَيْرُ صِنْوٰانٍ يُسْقىٰ بِمٰاءٍ وٰاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهٰا عَلىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾[1]، يعني أنّ هذه الآية تجري في مثل هذا الموقع، وربّنا يذكّرنا بآياته في الطبيعة من حولنا.

«فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَوَاتِكَ فَتَوَجَّهْ نَحْوَ الحَائِرِ وَعَلَيْكَ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ وَقَصِّرْ خُطَاكَ» لأنّه كلّما كانت الخطوات أكثر فإنّ الثواب يكون أعظم.

«فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَكْتُبُ لَكَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حِجَّةً وَعُمْرَةً، وَسِرْ خَاشِعاً قَلْبُكَ، بَاكِيَةً عَيْنُكَ، وَأَكْثِرْ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وَالصَّلَاةِ عَلَى الحُسَيْنِ خَاصَّةً، وَلَعْنِ مَنْ قَتَلَهُ، وَالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ ذَلِكَ. فَإِذَا أَتَيْتَ بَابَ الحَائِرِ فَقِفْ وَقُلْ:

«اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لله كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً. الحَمْدُ لله الَّذِي هَدٰانٰا لِهٰذٰا وَمٰا كُنّٰا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاٰ انْ هَدٰانَا اللهُ، لَقَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالحَقِّ.

وَقُلْ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا

(١) سورة الرعد، الآية: ٤.

خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَائِدَ الغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ الشَّهِيدُ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا مَلَائِكَةَ اللهِ الْمُقِيمِينَ فِي هَذَا المَقَامِ الشَّرِيفِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا مَلَائِكَةَ رَبِّيَ الْمُحْدِقِينَ بِقَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ مِنِّي أَبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

هذه الكلمات -ما يُعرف بالاستئذان للدخول- هي في الحقيقة تمهيدٌ لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وكلّ إمام نريد أن نزوره، وفي هذه الكلمات -سواء في إذن الدخول أو فيما بعده- نجد:

أوّلاً: تأكيداً على المعارف الإلهيّة التي يعتقد بها المؤمن، كتوحيد الله وعدم الشرك به أبداً.

ثانياً: بيان رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وعظمته والسلام عليه.

ثالثاً: توضيح الولاية والوصية بالسلام على الوصي والولي الأعظم أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ على الأئمّة الأوصياء جميعاً.

ثُمَّ تَقُولُ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، الْمُقِرُّ بِالرِّقِّ، وَالتَّارِكُ لِلْخِلَافِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوَالِي لِوَلِيِّكُمْ، وَالْمُعَادِي لِعَدُوِّكُمْ، قَصَدَ حَرَمَكَ، وَاسْتَجَارَ بِمَشْهَدِكَ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِقَصْدِكَ.

بهذه الكلمات وهذا المقام يستحضر الإنسان المؤمن في نفسه نيَّته الخالصة

في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، كما يستحضر في قلبه وعقله مقام سيّد الشهداء عليه السلام، ويتذكَّر ما جرى عليه في هذا المشهد، فيتولّى الإمام الحسين وإخوته وأبناءه وأصحابه، ويتبرَّأ من أعدائه، ثمّ يقول الزائر:

أَأَدْخُلُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَأَدْخُلُ يَا نَبِيَّ اللهِ، أَأَدْخُلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَأَدْخُلُ يَا سَيِّدَ الوَصِيِّينَ، أَأَدْخُلُ يَا فَاطِمَةُ سَيِّدَةَ نِسَاءِ العَالَمِينَ، أَأَدْخُلُ يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَأَدْخُلُ يَا مَوْلَايَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ؟

فالاستئذان هنا لا يكون من الامام الحسين عليه السلام فحسب، بل من جدّه وأمّه وأبيه عليهم السلام، ومعنى ذلك: أنّ هذا المقام هو مقام الجميع، وهذه الحضرة المباركة هي حضرة أصحاب الكساء الخمسة جميعاً.

ثمّ تضيف الرواية:

«فَإِنْ خَشَعَ قَلْبُكَ، وَدَمَعَتْ عَيْنُكَ، فَهُوَ عَلَامَةُ الإِذْنِ فَادْخُلْ».

فإذا وصل قلبك إلى حالة الخشوع، والخضوع، والبكاء، فهذا معناه أنّ الإذن قد حصل لك فلتدخل على بركة الله.

ثُمَّ قُلْ:

«اَلْحَمْدُ للهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ الفَرْدِ الصَّمَدِ الَّذِي هَدَانِي لِوَلَايَتِكَ، وَخَصَّنِي بِزِيَارَتِكَ، وَسَهَّلَ لِي قَصْدَكَ».

إلى هنا تمهيد لزيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث، والبداية تكون من عند الرأس الشريف، وكان الزائر فيما سبق يقدم إلى كربلاء من جهة الغرب، ثمّ يقف عند رأس الإمام الحسين عليه السلام ومن هناك يبدأ الزيارة.

وهذه الزيارة الشريفة في الحقيقة بيان لوراثة الإمام الحسين عليه السلام للأنبياء

جميعاً، وهذه الحقيقة تتكرّر في زيارات المعصومين عليهم السلام، ولكن أكثر ما نجدها في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك في زيارة الإمام الرضا عليه السلام.

ومعنى الوراثة أمور، منها:

أوّلاً: حين نقرأ تاريخ الأنبياء في القرآن الكريم، أو في الأحاديث الصحيحة، ونستحضر كلّ تلك الحياة الرساليّة الحافلة بالإيمان والجهاد والأخلاق الفاضلة، نجدها حاضرة عند أبي عبد الله الحسين عليه السلام وكأنّ له الوراثة الرسالية لهم جميعاً، فأوّل وأعظم وراثة للمولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام هي وراثة الرسالة التي يتوارثها الأنبياء عليهم السلام.

ثانياً: حينما نزور معصوماً من المعصومين مثل الإمام الحسين عليه السلام فإنّنا لا ننسى إيماننا بكلّ الأنبياء، وكلّ الصديقين والأولياء، لأنّ الإيمان لا يتجزّأ، ولا نفرِّق بينهم أبداً.

ثالثاً: عندما نذكر الأنبياء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام نكون أقرب إلى رحمة الله الواسعة، لأنّ الإنسان حينما يتذكَّر الأنبياء والأولياء فإنّ الله سبحانه وتعالى يفتح له أبواب السماء بالرحمة.

وهذه الحِكم وغيرها هي وراء زيارات الصالحين، وذكر الأنبياء والصديقين والأئمّة أجمعين، ولذا نقول في زيارة وارث المشهورة:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ».

فالله اصطفى آدم عليه السلام، ونحن نكرم أبانا الكبير آدم، وهو سبب لرحمة الله علينا في وجودنا في هذه الحياة.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ نُوح نَبِيِّ اللهِ».

وفيما يتَّصل بنوح شيخ الأنبياء المرسلين عليه السلام، وجهاده الطويل المرير من أجل نشر التوحيد، فنحن نكرمه ونجلّه ونسلّم عليه.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ إِبْراهيمَ خَليلِ اللهِ».

وإبراهيم الخليل عليه السلام بطل التوحيد الذي كسر الأصنام، وعرَّض نفسه لنيران نمرود، وقرَّر ذبح ابنه تسليماً لأمر الله تعالى، وبنى الكعبة البيت الحرام، وهو أصل العرب والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والأنبياء هم ورثته، فنسلّم عليه ونعظِّمه أيضاً.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ مُوسى كَليمِ اللهِ».

وموسى الكليم عليه السلام ذلك النبي العظيم الذي تعطينا قصصه الكثيرة في القرآن الكريم المزيد من روح التوحيد والتضحية في سبيل الله والثبات على المبدأ، نذكره في الزيارة ونسلِّم عليه.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ عيسى رُوحِ اللهِ».

ونسلِّم على عيسى المسيح عليه السلام ذلك النبي الحكيم الذي كانت تعاليمه سبباً للأخلاق العظيمة، كما أنّه كان عَلَماً إلى الآخرة، وسيكون شريكاً أساسياً في الرسالة الخاتمة، وذلك في إقامة دولة الحق والعدل في آخر الزمان.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ مُحَمَّد حَبيبِ اللهِ».

وأمّا الحبيب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فهو جدّ الإمام الحسين عليه السلام، وهو منه كما في الحديث عنه حيث قال: «**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْبَاطِ**»[1]، ورسول الله وصفه ربّنا سبحانه بقوله:

(١) كامل الزيارات لابن قولويه، ج١، ص ٥٢.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]، وأنّه شفيع هذه الأمّة، والإمام الحسين عليه السلام وارثه في هذه الخصال الشريفة، والرسالة العظيمة.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ».

وفي بعض النسخ زيادة «**وَلِيِّ الله**» وهو أبو الإمام الحسين عليه السلام، فالحسين لم يرثه لكونه ابناً له، بل لأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الآخر قد جسَّد كلّ قِيَم والده وليِّ الله الأعظم، وكان وريثه شخصاً ورسالة.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ مُحَمَّد الْمُصْطَفى، السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ عَلِيِّ الْمُرْتَضى، السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ فاطِمَةَ الزَّهْراء».

في هذا السلام والتعظيم شهادةٌ لأبي عبد الله الحسين عليه السلام بأنّه سليل تلك الشجرة الطيبة، والسلالة الطاهرة. فحينما نقول: يا ابن فاطمة الزهراء عليها السلام نستحضر كلّ تلك القضايا العظمى والمراتب العليا من سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، بما في ذلك المصائب والرزايا التي أصابتها عليها السلام، والإمام قد ورثها كلّها.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ خَديجَةَ الكُبْرى».

وكذلك فيما يتصل بوراثة الإمام من جدّته السيّدة أمّ المؤمنين الأولى خديجة الكبرى عليها السلام، وما كان فيها من صفات وخصال وسجايا كريمة.

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثارَ اللهِ وَابْنَ ثارِهِ وَالوِتْرَ الْمَوْتُورَ».

لكلّ ثائر ومقتول وليُّ دمٍ يأخذ بثأره، فوليُّ دم الإمام الحسين عليه السلام هو الله سبحانه وتعالى، كما أنّه وليُّ دم أمير المؤمنين عليه السلام لأنّهما عليهما السلام قدّما نفسيهما في

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

سبيل الله سبحانه وتعالى، فالله هو الذي يأخذ بثأرهما إن شاء الله تعالى.

وعبارة (**وَالوِتْرَ المَوْتُورَ**) تعطي نفس الفكرة والبصيرة، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الذي أعطى كلّ ما لديه في سبيل الله، وربّنا سبحانه وتعالى يطلب بثأره، فإنَّ ثأره باقٍ ما بقيت الدنيا وإلى نهايتها، فعطاء الإمام الحسين عليه السلام وثورته العظيمة، هي في الحقيقة وسيلة لغفران الذنوب، وقضاء الحوائج، لأنّ هذا وتر وثأر من ثارات الربّ سبحانه، ثمّ نقول:

«**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنْ المُنْكَرِ، وَأَطَعْتَ اللهَ وَرَسُولَهُ حَتّى أَتَاكَ اليَقِينُ**».

شهادة مِنّا بأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عبداً مطيعاً لله سبحانه وتعالى، دفعاً لأي شُبهة قد تدعو إلى الغلوّ فيه، ومعنى قوله (**حَتّى أَتَاكَ اليَقِينُ**) أي حتّى أتاك الموت الذي لا بدّ منه لكلّ مخلوق، والأئمّة عليهم السلام إيمانهم ثابت، ويقينهم راسخ، لا يتزعزع حتّى آخر لحظة من حياتهم الشريفة.

وبعد هذا الثناء الذي هو في الحقيقة تعبيرٌ عن التولّي له ولأولياء الله، نبدأ بالتبرِّي من الأعداء، لأنّهما جناحان يُحلِّق بهما الإنسان في سماء الإيمان واليقين في دين الله.

بين التولّي والتبرّي

التوحيد لا يتمُّ إلّا بعد رفض الشِّرك، وفي عدم التبرّي من أعداء الله شيءٌ من الشرك، وبتعبير آخر إنّما يتطهَّر الإنسان من الشرك إذا تبرّأ من أعداء الله، وتبرَّأ من كلّ ما هو وسيلة للانحراف، لذلك نقول في الزيارة المباركة:

«**فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ**

فَرَضِيَتْ بِهِ».

واللعن هو دعاء بالطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، ثمّ نشهد للإمام الحسين عليه السلام بمقامه العظيم عند الله فنقول:

«يَا مَوْلايَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الأَصْلابِ الشّامِخَةِ، وَالأَرْحامِ المُطَهَّرَةِ».

كنتَ نوراً في الأصلاب التي تميَّزت بالشموخ والعزَّة والكرامة، والأرحام التي تميَّزت بالطُّهر والنقاء، ونتيجة ذلك أنّك:

«لَمْ تُنَجِّسْكَ الجاهِلِيَّةُ بِأَنْجاسِهَا».

ليس في آبائك ولا أمهاتك مَنْ مَالَ إلى الشِّرك وأرجاسه والجاهلية وأنجاسها، لأنّك ابن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول عنه ربّنا سبحانه وتعالى: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾[1]، وهو يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**نُقِلْتُ مِنَ الأَصْلابِ الطَّاهِرَةِ إِلَى الأَرْحامِ الطَّاهِرَةِ**»[2].

«وَلَمْ تُلْبِسْكَ مِنْ مُدْلَهِمّاتِ ثِيَابِها».

أي لم تَلبس ثوب الرَّذيلة -والعياذ بالله- أو الأخلاق غير الفاضلة، فأخلاق الإنسان وعاداته بمثابة ثوبٍ يحيط به، ويظهر بها فتزيّنه إن كانت حسنة، أَوَلم يقل سبحانه وتعالى: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾[3]؟

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعائِمِ الدِّينِ وَأَرْكانِ المُؤْمِنينَ».

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٩.

(٢) كنز الفوائد، ج١، ص ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

ذلك لأنّه إمام مفترض الطاعة، فهو في ولايته وإمامته من دعائم الدِّين وأصوله، وهو من أركان الإيمان وإمام المؤمنين.

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الإِمَامُ البَرُّ التَّقِيُّ، الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ، الهادِيُ المَهْدِيُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى».

فإذا أراد الإنسان أن يصل إلى روح التقوى فعليه أن يتولّى الأئمّة من ولد الإمام الحسين عليهم السلام، لأنّهم أعلام الهدى، وهم الذين يهدون الإنسان إلى الحق وإلى الهدى في خضم الانحرافات التي يتعرَّض لها في حياته.

«وَالعُرْوَةُ الوُثْقى».

العروة المحكمة، أي الحبل المتين الذي يتمسَّك به الإنسان ويعتصم به، وعبر تمسُّكه بهذا الحبل تكون نجاته في الدنيا والآخرة.

«وَالحُجَّةُ عَلى أَهْلِ الدُّنْيَا».

فهم الحجّة على الخلق، لأنّ سيرتهم وكلامهم في الحقيقة محض الحق والصدق، فلا يمكن أن نتقدّم عليهم ولا أن نتأخّر عنهم فنزهق ونهلك.

«وَأُشْهِدُ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ أَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَبِإِيَابِكُمْ مُوقِنٌ».

أي بالرجعة التي هي عقيدة راسخة عند الشيعة، وهي من أجمل وأكمل العقائد بعد الأصول لما لها من تأثير إيجابي في حياة الإنسان المؤمن.

«بِشَرايِعِ دِينِي».

شرائع الدِّين هي أحكامه وعباداته ومعاملاته وقوانينه الشاملة.

«وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي».

أي من دون هذه الولاية فإنَّ الأعمال التي نقوم بها ناقصة وغير مقبولة، لأنّها لم تأتِ من بابها الذي أمر الله به، وهي الولاية لأولياء الله تعالى.

«وَقَلْبي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ، وَأمْري لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ».

فقلبي يحبُّكم ويواليكم، ويتبرَّأ من أعدائكم، وأمّا سلوكي فهو في خطكم وبأمركم، فكلّ أوامري تابعة لأمركم، ولا أمر لي ولا نهي معكم.

«صَلَواتُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَعَلى أَرْوَاحِكُمْ، وَعَلى أَجْسادِكُمْ، وَعَلى أَجْسامِكُمْ، وَعَلى شاهِدِكُمْ، وَعَلى غَائِبِكُمْ، وَعَلى ظَاهِرِكُمْ، وَعَلى بَاطِنِكُمْ».

فنحن نصلّي على كلّ شيء فيكم؛ روحاً، وجسداً، وجسماً، ونصلّي على الحاضر منكم والغائب أيضاً، كما نصلّي على ظاهركم الذي هو نموذج السلوك الإيماني في الحياة، وعلى باطنكم الذي هو نور وعلم لا يدرك، وهذا سلام وتسليم مطلق لأئمّة الهدى عليهم السلام.

وتقول الرواية: ثُمَّ انْكَبَّ عَلَى القَبْرِ وَقَبِّلْهُ وَقُلْ:

«بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ».

وحينما نصل إلى مقام أهل البيت عليهم السلام نفديهم بكلّ ما نملك؛ بأنفسنا، وآبائنا، وبأهلنا جميعاً، لأنّ ولايتهم أعظم من ولايتنا لأنفسنا وأهلنا، فهم أولى بنا من أنفسنا، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [1].

ثمّ نخاطب الإمام الحسين عليه السلام بحزن وأسى شديدين، فنقول:

«لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ، وَجَلَّتِ المُصيبَةُ بِكَ عَلَيْنا وَعَلى جَميعِ أَهْلِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ».

---

(١) وذلك قول الله تعالى في الآية ٥ من سورة الأحزاب: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾.

لأنّ مصيبة الإمام الحسين عليه السلام هي مصيبة عامّة شملت الخليقة كلّها كما مرّ ذكره.

«فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ».

أي هيَّأت خيولها وأسرجتها لتكون جاهزة للقتال.

«وَأَلْجَمَتْ».

أي وضعت للخيول لجامها حتى لا تجمح بهم في المعركة.

«وَتَهَيَّأَتْ لِقِتالِكَ».

أي تحضَّرت وتسلَّحت واستعدَّت لقتالك بتهيئة الخيول وكلّ ما يلزمها، ويُستفاد من هذا أنَّ قتال الحسين عليه السلام لم يكن أمراً حدث فجأة، بل كان بتخطيط وتهيئة مسبقة وذلك لإطفاء نور الهداية.

«يَا مَوْلايَ يَا أَبا عَبْدِ اللهِ، قَصَدْتُ حَرَمَكَ، وَأَتَيْتُ إِلَى مَشْهَدِكَ».

وهنا جاء دور الدعاء الذي يشمل الكثير من المعاني السامية، لا سيّما وأنّنا في مكان استجابة الدعاء؛ تحت تلك القبة النورانية لسيد الشهداء، فلا بدَّ للزائر أن يُكثر من الدعاء تحتها:

«أَسْأَلُ اللهَ بِالشَّأنِ الَّذي لَكَ عِنْدَهُ، وَبِالمَحَلِّ الَّذي لَكَ لَدَيْهِ، أَنْ يُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَنْ يَجْعَلَني مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

وهذا الدعاء شامل وكامل، لأنّ الإنسان يطلب من الله أن يكون مع الإمام الحسين عليه السلام في الدنيا، ومعه في الآخرة، وما أجملها وأعظمها وأكرمها من معيَّة ورفقة.

وأيّ أمنيّة أعظم من أن نكون مع الحسين عليه السلام في الدنيا، معه في معارفه

وعقائده ونيَّته، وفي عمله وسلوكه وجهاده؟ ومن كانت هذه خاتمة حياته، كان جزاؤه أن يكون مع الإمام الحسين في الآخرة إن شاء الله تعالى.

ثمّ جاء في الرواية: «**ثُمَّ قُمْ وصَلِّ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الرَّأْسِ، اقْرَأْ فِيهِمَا مَا أَحْبَبْتَ فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ فَقُلْ:**

«**اللَّهُمَّ إِنِّي صَلَّيْتُ وَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ لَكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لَا يَكُونُ إِلَّا لَكَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**».

«**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْلِغْهُمْ عَنِّي أَفْضَلَ السَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ، وَارْدُدْ عَلَيَّ مِنْهُمُ السَّلَامَ**».

«**اللَّهُمَّ وَهَاتَانِ الرَّكْعَتَانِ هَدِيَّةٌ مِنِّي إِلَى مَوْلَايَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام**».

«**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي وَأْجُرْنِي عَلَى ذَلِكَ بِأَفْضَلِ أَمَلِي وَرَجَائِي فِيكَ وَفِي وَلِيِّكَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ**».

وبعد أن نكمل زيارة الإمام الحسين عليه السلام نتوجَّه إلى زيارة على الأكبر عليه السلام الذي هو راقد عند رجلي الإمام الحسين عليه السلام.

تقول الرواية: ثُمَّ قُمْ وَصِرْ إِلَى عِنْدِ رِجْلَيِ القَبْرِ وَقِفْ عِنْدَ رَأْسِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عليه السلام فَقُلْ:

«**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ نَبِيِّ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّهِيدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَظْلُومُ وَابْنُ الْمَظْلُومِ، لَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ**».

ثُمَّ انْكَبَّ عَلَى القَبْرِ وَقَبِّلْهُ وَقُلْ:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللهِ وَابْنَ وَلِيِّهِ، لَقَدْ عَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ، وَجَلَّتِ الرَّزِيَّةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وهكذا تكتمل زيارة علي الأكبر عليه السلام إتماماً لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

زيارة الشهداء

لأنّنا نعتقد بأنّ الذين استُشهِدوا مع الامام الحسين عليه السلام كانوا أقماراً في سماء الشهادة، فإنّنا نتوجّه بعد زيارة الإمام لزيارة الشهداء السعداء من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وهم الذين وصفهم أبو عبد الله بأنّهم خير الأصحاب، بقوله: «**فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي**»[1]، فنقف عند ضريحهم ونقول:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَوْلِياءَ اللهِ وَأَحِبّاءَهُ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَصْفِياءَ اللهِ وَأَوِدّاءَهُ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصارَ دِينِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ رَسُولِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ أَبِي مُحَمَّد الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الوَلِيِّ النّاصِحِ».

في هذه الفقرة نذكر الإمام الحسن المجتبى السبط الأكبر عليه السلام -بالاضافة إلى النبي والوصي وسيدة نساء العالمين عليهم السلام- بالرغم أنّنا لم نذكره في بقيّة الزيارة، لأنّنا حينما نَصِف الشهداء نَصِفهم بأنّهم أنصار الرسول وأنصار علي والزهراء والحسن عليهم السلام، قبل أن نَصِفهم بأنّهم أنصار الحسين عليه السلام، مع أن بعضهم لم يلحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ ذلك يعني:

---

(١) وقعة الطف، ج١، ص١٩٧.

أوّلاً: أنّ نصرة الحسين عليه السلام هي نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليهم السلام والسائرين على دربه.

ثانيا: أنَّهم نصروا الحسين عليه السلام لا لشخصه كإمام فحسب، بل لأنّه يمثّل امتداد النبوّة والإمامة، فبنصرتهم للحسين يكونون قد نصروا النبي والوصي والبتول والحسن عليهم السلام، وهذا يعني أنّ من ينصر وارث الحسين عليه السلام اليوم وهو الإمام المهدي (عج) يكون من أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنصار أمير المؤمنين عليه السلام، وأنصار فاطمة عليها السلام، وأنصار الحسن عليه السلام، وأنصار الحسين عليه السلام، بل من أنصار جميع الأئمّة الأطهار من ذرية الحسين عليه السلام.

بعد ذلك نكمل السلام على الشهداء الأبرار فنقول:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ ابي عَبْدِ اللهِ، بِأَبي أَنْتُمْ وَأُمّي طِبْتُمْ وَطابَتِ الأَرْضُ الَّتي فيها دُفِنْتُمْ، وَفُزْتُمْ فَوْزاً عَظيماً».

وفي نهاية زيارة الأنصار الكرام، نتوجّه إلى الله بالدعاء:

«فَيا لَيْتَني كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ مَعَكُمْ».

هكذا نختم الزيارة الشريفة بالتمنِّي أن نكون مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؛ لنفوز بالجنة وذلك هو الفوز العظيم، وفي هذا التمنّي ترسيخٌ للانتماء لهم عليهم السلام.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مرقده الشريف في الدنيا، وأن يجمعنا معه في الآخرة، ولا يفرِّق بيننا وبينه طرفة عين أبداً.

*****

بصائر وفوائد

١. حين نخاطب الحسين عليه السلام نبدأ الكلام بالسلام على سائر أصحاب الكساء، وفي ذلك دلالة على أنّ ضريح الإمام الحسين عليه السلام هو مقام جميعهم، وهذه الروضة المباركة هي روضة أصحاب الكساء الخمسة جميعاً.

٢. الحياة الرسالية الحافلة بالإيمان والجهاد والأخلاق الفاضلة، وسائر الحقائق التي نستحضرها في قراءتنا لحياة الأنبياء عليهم السلام، نجدها عند أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكأنّ له الوراثة الرسالية لهم جميعاً.

٣. عندما نذكر الأنبياء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام نكون أقرب إلى رحمة الله الواسعة، لأنّ الإنسان حينما يتذكَّر الأنبياء والأولياء فإنّ الله سبحانه وتعالى يفتح له أبواب السماء بالرحمة.

(6)

زيارة أئمّة البقيع عليهم السلام

أئمّة الهدى في البقيع الغرقد هم:

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ثاني أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام رابع الأئمّة الهداة.

الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام خامس الأئمّة الأطهار.

الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام سادس الأئمّة المعصومين.

وعندما نزورهم ونقرأ الاستئذان بالدخول نشكر الله سبحانه وتعالى الذي مَنَّ علينا بطَوله، وسهَّل لنا بحوله وقوته زيارة سادتنا وأئمّتنا، فنخاطبهم بهذه الكلمات التي تفيض علينا روح الولاء لأهل البيت الأطهار عليهم السلام حيث نقول:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةَ الْهُدَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ التَّقْوَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، السَّلَامُ عَلَيْكُمُ الْقُوَّامُ فِي الْبَرِيَّةِ بِالْقِسْطِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الصَّفْوَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّجْوَى»[1].

في هذه الكلمات نجد القِيَم المثلى التي تتجسَّد في أئمّة الهدى، فنذكِّر أنفسنا

---

(١) هذه الزيارة ننقلها من: الكافي، ج٤، ص٥٥٩.

بها لكي نزداد حبّاً ومودّة لهم، ولنعرف أنّ مقامهم عند الله لم يكن جزافاً، وإنّما كان لهذه الفضائل التي كانت فيهم. ثمّ نشير إلى ما يرتبط بالجانب العملي من فضائلهم:

«أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَنَصَحْتُمْ وَصَبَرْتُمْ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُذِّبْتُمْ وَأُسِيءَ إِلَيْكُمْ فَعَفَوْتُمْ».

بهذه الكلمات نبيّن سيرتهم لكي نتّخذها مثلاً لأنفسنا وقدوة حسنة لحياتنا، ثمّ نبيّن مقامهم العظيم، ونقول:

«وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ المَهْدِيُّونَ، وَأَنَّ طَاعَتَكُمْ مَفْرُوضَةٌ، وَأَنَّ قَوْلَكُمُ الصِّدْقُ، وَأَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ تُجَابُوا، وَأَمَرْتُمْ فَلَمْ تُطَاعُوا».

ففي سيرتهم دروس لكلّ مؤمن ورسالي من بعدهم، فمع أنّهم واجهوا ما واجهوا من ظلم وتكذيب وإساءة، بل ومن إعراض المجتمع وعدم استجابته، إلّا أنّهم بلّغوا وصبروا ونصحوا.

ثمّ نشهد ونقرّ بأنَّ علينا أن نطيعهم في كلّ ما قالوا، لأنّ طاعتهم واجبة ومفروضة، فكلّ ما وصلنا من سيرتهم العطرة هو امتداد لسُنَّة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا نقول:

«وَأَنَّكُمْ دَعَائِمُ الدِّينِ، وَأَرْكَانُ الأَرْضِ، وَلَمْ تَزَالُوا بِعَيْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَنْسَخُكُمْ فِي أَصْلَابِ كُلِّ مُطَهَّرٍ، وَيَنْقُلُكُمْ فِي الأَرْحَامِ المُطَهَّرَاتِ، لَمْ تُدَنِّسْكُمُ الجَاهِلِيَّةُ الجَهْلَاءُ، وَلَمْ تَشْرَكْ فِيكُمْ فِتَنُ الأَهْوَاءِ، طِبْتُمْ وَطَابَ مَنْبِتُكُمْ».

ثمّ نبيّن بعد هذه الكلمات الرائعة أنّ ولايتهم إنّما هي النِّعمة الكبرى التي أنعم الله بها على هذه الأمّة، وعلينا أن نغتنمها ونقول:

«مَنَّ بِكُمْ عَلَيْنَا دَيَّانُ الدِّينِ، فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ إَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ».

وهنا إشارة إلى الآية الكريمة في سورة النور حيث إنَّ هذه الآية جاءَت في سياق الحديث عن نور الله ومَثَله في قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لّا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[1].

ثمّ نقول في الزيارة:

«وَجَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ، رَحْمَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا».

وهذا بيان لأهميّة زيارة مراقد أهل البيت عليهم السلام، لأنّ في زيارتهم والصلاة عليهم رحمةً لنا، والرحمة تتمثّل في نعم الله علينا، وكفارةً لذنوبنا، ولعلّ العبارة تشير إلى ما سبق وبيَّنته الآية الكريمة حول استغفار الر سول صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[2].

ثمّ نعترف بفضلهم علينا ونقول:

«إِذْ اخْتَارَكُمْ لَنَا، وَطَيَّبَ خَلْقَنَا بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ وَلَايَتِكُمْ، وَكُنَّا عِنْدَهُ

(١) سورة النور، الآية: ٣٥ – ٣٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

مُسَمَّيْنَ، مُعْتَرِفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ».

وهذه إشارة إلى عالم الذر، وأنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام قَبِلَها شيعتهم في ذلك العالم حيث الأرواح والأنوار، ثمّ نقرأ في الزيارة:

«وَهَذَا مَقَامُ مَنْ أَسْرَفَ وَأَخْطَأَ، وَاسْتَكَانَ وَأَقَرَّ بِمَا جَنَى، وَرَجَا بِمَقَامِهِ الخَلَاصَ، وَأَنْ يَسْتَنْقِذَهُ بِكُمْ مُسْتَنْقِذُ الهَلْكَى مِنَ الرَّدَى، فَكُونُوا لِي شُفَعَاءَ، فَقَدْ وَفَدْتُ إِلَيْكُمْ إِذْ رَغِبَ عَنْكُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا، وَاتَّخَذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا».

فنعترف بأنّنا في مقام الذنب والخطأ، وهم سبب النجاة ووسيلة الإنقاذ لنا من حيث الشفاعة لنا لغفران ذنوبنا وخطايانا عند الله تعالى.

ثمّ ندعو الله ونتضرّع إليه فنقول:

«يَا مَنْ هُوَ قَائِمٌ لَا يَسْهُو، وَدَائِمٌ لَا يَلْهُو، وَمُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَكَ المَنُّ بِمَا وَفَّقْتَنِي وَعَرَّفْتَنِي مِمَّا ائْتَمَنْتَنِي عَلَيْهِ، إِذْ صَدَّ عَنْهُمْ عِبَادُكَ، وَجَهِلُوا مَعْرِفَتَهُمْ، وَاسْتَخَفُّوا بِحَقِّهِمْ، وَمَالُوا إِلَى سِوَاهُمْ، فَكَانَتِ المِنَّةُ مِنْكَ عَلَيَّ مَعَ أَقْوَامٍ خَصَصْتَهُمْ بِمَا خَصَصْتَنِي بِهِ، فَلَكَ الحَمْدُ إِذْ كُنْتُ عِنْدَكَ فِي مَقَامِي هَذَا مَذْكُوراً مَكْتُوباً، فَلَا تَحْرِمْنِي مَا رَجَوْتُ، وَلَا تُخَيِّبْنِي فِيمَا دَعَوْتُ».

وهذه الزيارة على إيجازها واختصارها جمعت مجموعة كبيرة من البصائر الدِّينية، التي لو استوحاها الإنسان واستوعبها لخرج من الزيارة وهو مفعم بروح الإيمان والولاية لأولياء النِّعم من أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

*****

بصائر وفوائد

١. عندما نزور أئمّة البقيع عليهم السلام ونستأذنهم بالدخول نشكر الله سبحانه وتعالى الذي مَنَّ علينا بطَوله، وسهَّل لنا بحوله وقوته زيارة سادتنا وأئمّتنا، ونخاطبهم بالكلمات التي تفيض علينا روح الولاء لأهل البيت الأطهار عليهم السلام.

٢. نذكِّر أنفسنا بالقِيَم المثلى التي تجسَّدت في أئمّة الهدى عليهم السلام، لكي نزداد حبّاً ومودّة لهم واقتداءً بهم، ولنعرف أنّ مقامهم عند الله لم يكن بلا سبب، وإنّما كان بسبب الفضائل التي كانت فيهم.

٣. علينا أن نطيع الأئمّة عليهم السلام في كلّ ما قالوا، لأنّ طاعتهم واجبة ومفروضة، فكلّ ما وصلنا من سيرتهم العطرة هو امتداد لسُنَّة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(7)

زيارة الإمام موسى الكاظم عليه السلام

زيارة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فيها ثلاثة جوانب أساسية:

الجانب الأوّل: إذن الدخول

حيث يقول الزائر:

«اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ للهِ عَلَى هِدَايَتِهِ لِدِينِهِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ سَبِيلِهِ؛ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَكْرَمُ مَقْصُودٍ وَأَكْرَمُ مَأْتِيٍّ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ مُتَقَرِّباً إِلَيْكَ بِابْنِ بِنْتِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِ الطَّيِّبِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَلَا تُخَيِّبْ سَعْيِي، وَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي، وَاجْعَلْنِي بِهِمْ عِنْدَكَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ»[1].

هذه المقدّمة -أو قل: هذا الاستئذان- فيها أهداف تربويّة ونفسيّة لتحضير الإنسان نفسياً وروحياً للدخول إلى الزيارة، فمن خلال هذه الكلمات يُحضِّر المؤمن نفسه ويهيِّؤها لهذا التشرُّف، لأنّه سوف يدخل إلى رحاب الإمام المعصوم، وهكذا فإنّك تخشع لله وتكبِّره وتحمده على هذا التوفيق، وتشكره على هذه النعمة، ثمّ تسأله تعالى أن يجعلك بالأئمّة الوجهاء عنده وجيهاً في

(١) مصباح الزائر، ج١، ص٣٧٧.

حياتك، ومن المقرّبين لديه بعد مماتك.

ثمّ تتقدَّم وتَقُولُ:

«بِسْمِ اللهِ، وَبِاللهِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ».

هذه الكلمات تتكرّر في سائر الزيارات الشريفة، وهي عبارة عن تهيئة النفس والروح والتمهيد للزيارة، وأنت إذا ذهبت إلى إنسان تهيِّئ نفسك وتحضِّر روحك قبل الدخول إليه.

ثمّ تستأذن بالدخول فتَقُولُ:

«أَأَدْخُلُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَأَدْخُلُ يَا نَبِيَّ اللهِ، أَأَدْخُلُ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، أَأَدْخُلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَأَدْخُلُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ الحَسَنَ، أَأَدْخُلُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنَ، أَأَدْخُلُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، أَأَدْخُلُ يَا أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، أَأَدْخُلُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ، أَأَدْخُلُ يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا الحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ».

وهكذا تستأذن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أمير المؤمنين عليه السلام، وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام لأنّ هذا البيت من بيوت النبيّ الأكرم، وقد أُمرنا أن نحترم بيوت النبيّ وألّا ندخلها بلا إذن، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾[1].

وتكبيرات الله في الزيارات هي في الواقع محاولة لمواجهة وساوس الشيطان باتجاه الشرك عبر الغلوّ في الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فلا يدخل شيء من الشرك في ذهننا تجاه عظمة الأئمّة، كما أنّنا حينما نرى أشياء خارقة للعادة وكرامات

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

عظيمة في الدنيا، نقول: (**سبحان الله**) حتى لا نشرك بالله.

الجانب الثاني: الزيارة الشريفة

وفي الزيارة إشارة إلى مقامه الشامخ، وإلى أنّه وليُّ الله، وحجّة الله، وصفيُّ الله، وأمين الله، ونور الله، وهذه كلمات تشير إلى مقام الإمام، وأنَّ هذا المقام دون مقام الألوهية، وأنَّ مقام أهل البيت عليهم السلام إنّما هو مستند إلى توحيد الربّ سبحانه وتعالى.

فنسلّم على الإمام ونذكر بعض صفاته النورانية المباركة فنقول:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللهِ وَابْنَ وَلِيِّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِ وَابْنَ حُجَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللهِ وَابْنَ صَفِيِّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللهِ وَابْنَ أَمِينِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللهِ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ الهُدَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلَمَ الدِّينِ وَالتُّقَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَازِنَ عِلْمِ النَّبِيِّينَ».

ثمّ نعترف ونقرّ بأنَّ كل إمام يكون امتداداً لَمَنْ سبقه، ومنطلق الإمامة لَمَنْ بعده، وهذا هو الأمر الطبيعي في فكر الرسالة والولاية الذي نعتقده، فنقول:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَازِنَ عِلْمِ المُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَائِبَ الأَوْصِيَاءِ السَّابِقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَعْدِنَ الوَحْيِ المُبِينِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ العِلْمِ اليَقِينِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْبَةَ عِلْمِ المُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ الصَّالِحُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ الزَّاهِدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ العَابِدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ السَّيِّدُ الرَّشِيدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ المَقْتُولُ الشَّهِيدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ وَابْنَ وَصِيِّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

هكذا نُبيِّن ونذكر ونعدِّد صفات هذا الإمام العظيم، وكلّها تتّصل بأنّه عبدٌ مقرَّبٌ من الله سبحانه وتعالى، وأنّه نور الله في ظلمات الأرض، وإمام الهدى وعَلَم التقى، ومن أهم ما في هذه الزيارة التوجيهُ والتذكيرُ بأنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وريث الأنبياء وخازن علم النبيين والمرسلين، وأنّه معدن الوحي وصاحب العلم، والتركيز على الجانب العلمي في شخصية هذا الإمام المظلوم.

ثمّ نشهد له بجهاده في سبيل الله وبما قام به من أعمال رسالية، فنقول:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ عَنِ اللهِ مَا حَمَّلَكَ، وَحَفِظْتَ مَا اسْتَوْدَعَكَ، وَحَلَّلْتَ حَلَالَ اللهِ، وَحَرَّمْتَ حَرَامَ اللهِ، وَأَقَمْتَ أَحْكَامَ اللهِ، وَتَلَوْتَ كِتَابَ اللهِ، وَصَبَرْتَ عَلَى الأَذَى فِي جَنْبِ اللهِ، وَجَاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاكَ اليَقِينُ».

ونشهد له أيضاً بأنّه الامتداد الرسالي لمسيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأئمّة الهداة عليهم السلام الذين سبقوه، فهم مسيرة واحدة وخط إلهي واحد:

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ آبَاؤُكَ الطَّاهِرُونَ، وَأَجْدَادُكَ الطَّيِّبُونَ، وَالْأَوْصِيَاءُ الهَادُونَ، الأَئِمَّةُ المَهْدِيُّونَ، لَمْ تُؤْثِرْ عَمًى عَلَى هُدًى، وَلَمْ تَمِلْ مِنْ حَقٍّ إِلَى بَاطِلٍ».

وكذلك نشهد له بالاخلاص في مسيرته الربانية، وبأداء الأمانة التي أودعها الله إيّاه، وبعبادته لله ربّ العالمين:

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ نَصَحْتَ للهَّ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَأَنَّكَ أَدَّيْتَ الأَمَانَةَ، وَاجْتَنَبْتَ الخِيَانَةَ، وَأَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ، وَعَبَدْتَ اللهَ مُخْلِصاً مُجْتَهِداً مُحْتَسِباً حَتَّى أَتَاكَ اليَقِينُ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنِ

الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ أَفْضَلَ الجَزَاءِ وَأَشْرَفَ الجَزَاءِ».

وهنا التركيز على أمانة الإمام وعبادته، ثمّ التأكيد على أنّه قد قُتِل شهيداً مظلوماً بعدما قام بكلّ ما يقوم به من دور في الدَّعوة إلى الله والجهاد في سبيله والاستقامة في طريقه، وبعد هذه الكلمات والشهادات نلتفت إلى الجانب الأخير في هذه الزيارة الشريفة.

الجانب الثالث: موقفنا من الإمام عليه السلام

في هذا الجانب من الزيارة الشريفة يأتي دور بيان موقفك من الإمام، وأنّك تزوره عارفاً بحقه، أي بمعرفتك وعلمك وإقرارك بأنّه إمام تجب طاعته عليك، ولذا تستشفع به إلى الله تعالى في قضاء حوائجك، فتقول:

«أَتَيْتُكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ زَائِراً عَارِفاً بِحَقِّكَ، مُقِرّاً بِفَضْلِكَ، مُحْتَمِلاً لِعِلْمِكَ، مُحْتَجِباً بِذِمَّتِكَ، عَائِذاً بِقَبْرِكَ، لَائِذاً بِضَرِيحِكَ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى اللهِ».

فنحن نعوذ بقبره الشريف، ونلوذ بضريحه المبارك، ونستشفع به إلى الله. ثمّ نؤكّد على أنّ الولاية هي خط يصلنا بالأئمّة عليهم السلام من جهة، وبسائر المؤمنين الموالين للأئمّة من جهة ثانية، حيث تعني الولاية الانتماء إلى نهجهم القويم، فنقول:

«مُوَالِياً لِأَوْلِيَائِكَ، مُعَادِياً لِأَعْدَائِكَ، مُسْتَبْصِراً بِشَأْنِكَ وَبِالْهُدَى الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، عَالِماً بِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكَ وَبِالعَمَى الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ».

ثمّ نُبدِي الفداء له بكلّ ما عندنا وأغلى ما لدينا، وهذا يعني الاستعداد للفداء في طريق الولاء، ثمّ نشرح ونقدِّم سبب زيارتنا لإمامنا، فنقول:

«بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوُلْدِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، أَتَيْتُكَ

مُتَقَرِّباً بِزِيَارَتِكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَمُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَيْهِ، فَاشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ لِيَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، وَيَعْفُوَ عَنْ جُرْمِي، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِي، وَيَمْحُوَ عَنِّي خَطِيئَاتِي، وَيُدْخِلَنِي الجَنَّةَ، وَيَتَفَضَّلَ عَلَيَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَيَغْفِرَ لِي وَلِآبَائِي وَلِإِخْوَانِي وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ».

ثمّ بعد هذه الجولة الخاصة بك وبحاجاتك واستغفارك، وطلب الشفاعة من الإمام لها كلّها ليتقبلها الله تعالى بقبول حسن ويستجيبها لك، تتحوّل إلى جانب الرأس الشريف، وتقول:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛ أَشْهَدُ أَنَّكَ الامَامُ الهَادِي، وَالْوَلِيُّ الْمُرْشِدُ، وَأَنَّكَ مَعْدِنُ التَّنْزِيلِ، وَصَاحِبُ التَّأْوِيلِ، وَحَامِلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْعَالِمُ العَادِلُ، وَالصَّادِقُ العَامِلُ، يَا مَوْلَايَ أَنَا أَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِنْ أَعْدَائِكَ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ بِمُوَالَاتِكَ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ وَأَبْنَائِكَ وَشِيعَتِكَ وَمُحِبِّيكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

وكأنّنا في ختام الزيارة نقف لنؤكّد مرّة أخرى كلّ مضامينها العالية ومعانيها الرفيعة، ونشهد بها عند الرأس الشريف للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، لنؤكّد الولاء له والبراءة من أعدائه الظالمين، ثمّ نصلي ونسلّم عليه وعلى آبائه وأبنائه وشيعته ومحبّيه، لنذهب إلى الصلاة لله تعالى وإهداء ثوابها لروحه الطاهرة عليه السلام.

*****

بصائر وفوائد

١. في الاستئذان للزيارة أهداف تربوية ونفسية لتحضير الإنسان نفسياً وروحياً للدخول إلى رحاب الإمام المعصوم عليه السلام.

٢. من أهمّ ما في هذه الزيارة التوجيه والتذكير بأنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وريث الأنبياء وخازن علم النبيين والمرسلين، وأنّه معدن الوحي وصاحب العلم، والتركيز على الجانب العلمي في شخصية هذا الإمام المظلوم.

٣. من أبعاد الزيارة هو بيان موقفك من الإمام، وأنّك تزوره عارفاً بحقه، أي بمعرفتك وعلمك وإقرارك بأنّه إمام تجب طاعته عليك، ولذا تستشفع به إلى الله تعالى في قضاء حوائجك.

(8)



زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام



نلتقي بفصل جديد وزيارة جليلة، وهي زيارة مرقد الإمام عليّ بن الرضا عليه السلام، والذي يتميَّز بالغربة والبُعد، لأنّ المسافة بين مرقده الشريف والحواضر الدينية في الحجاز والعراق كبيرة جداً، كما أنّ هناك فِرقاً من المسلمين قد توقّفت على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهم الواقفة، أو إمامة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهم الإسماعيلية، وكلّ هؤلاء رفضوا الإقرار والاعتراف بإمامة هذا الإمام العظيم، أنيس النفوس وغريب أرض طوس، والضامن لزواره الجنّة، ولهذا عُدَّت زيارته الشريفة من علامات الإيمان، وفي هذه الزيارة المباركة نجد عدداً من النقاط الهامّة:

النقطة الأولى: الشهادة بالتوحيد والرسالة باعتبارها أساس الدين وأصله، وهي منطلقنا لزيارة المعصومين عليهم السلام، فنقول:

«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّهُ سَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَنَّهُ سَيِّدُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ»[1].

---

(١) ننقل نصوص الزيارة من: كامل الزيارات لابن قولويه، ج١، ص٣٠٩، زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

ثمّ نصلّي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلّ المعصومين، نصلّي ونسلّم عليهم بنفس القِيَم تقريباً وباعتبارهم أئمّة الهدى، انتجبهم الربّ سبحانه وتعالى، مع بيان فضائلهم. فبالنسبة للنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم نقول:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ وَسَيِّدِ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ، صَلَاةً لَا يَقْوَى عَلَى إِحْصَائِهَا غَيْرُك».

ولأمير المؤمنين عليه السلام نقول:

«اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَبْدِكَ وَأَخِي رَسُولِكَ، الَّذِي انْتَجَبْتَهُ لِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُ هَادِياً لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ، وَالدَّلِيلَ عَلَى مَنْ بَعَثْتَهُ بِرِسَالَاتِكَ، وَدَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ بِعَدْلِكَ وَفَصْلَ قَضَائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ، وَالْمُهَيْمِنَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

وبالنسبة للصديقة الطاهرة نقول:

«اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ، وَزَوْجَةِ وَلِيِّكَ، وَأُمِّ السِّبْطَيْنِ الحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، الطُّهْرَةِ الطَّاهِرَةِ المُطَهَّرَةِ، النَّقِيَّةِ التَّقِيَّةِ، الرَّضِيَّةِ الزَّكِيَّةِ، سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، وَسَيِّدَةِ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، صَلَاةً لَا يَقْوَى عَلَى إِحْصَائِهَا غَيْرُكَ».

وهكذا تتكرّر هذه الصلوات بالنسبة إلى كلّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام لتكرِّس في نفس المؤمن الولاء لأهل بيت العصمة والطهارة، ويكون ذلك بمثابة التمهيد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام. وبعد الصلاة على النبيّ والأئمّة الهداة ندعو الله تعالى ونبيّن موقفنا من أوليائهم وأعدائهم، لنكرِّس في نفوسنا أَصْلَيْ التولّي والتبرّي، فنقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِزِيَارَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ، وَأُوَالِي وَلِيَّهُمْ وَأُعَادِي عَدُوَّهُمْ،

فَارْزُقْنِي بِهِمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنِّي هَمَّ نَفْسِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَهْوَالَ يَوْمِ القِيَامَة».

وريث الأنبياء والأولياء

في زيارة الإمام الرضا عليه السلام نقرأ عن الوراثة كما نقرأها في زيارة وارث المشهورة والمعروفة بهذه الكلمة، ولكن ماذا تعني هذه الكلمة هنا؟ وماذا نهدف من تكرارها في زيارتي الإمام الحسين والإمام الرضا عليهما السلام؟

للإجابة عن ذلك نشير إلى عدّة بصائر نستلهمها من هذه الفقرة من الزيارات:

البصيرة الأولى: إنَّ الرسالات الإلهيّة هي وِحدة واحدة، كما أنَّ الأنبياء والرُّسُل والأولياء يشكّلون وِحدة متكاملة، هذه الوِحدة -في الحقيقة- هي غاية عظيمة لا بدّ أن نكرِّسها في أنفسنا في مقابل الذين كانوا ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[1].

البصيرة الثانية: الإشارة إلى الوراثة في الزيارة تعني بأنَّ من يزور الإمام الحسين أو الإمام الرضا عليهما السلام فإنّه يزور كلّ الأنبياء والأولياء، لأنّك إذا أردت التوجّه إلى الله فإنّك تتوجّه هنا؛ أي عند الإمام الحسين، عبدِ الله وحجّته ووارث النبيّين، وكذلك الأمر عند الإمام الرضا عليه السلام باعتبار أنّك بهذه الزيارة تزور الله في عرشه[2]، وأمّا إذا أردت أن تزور الأنبياء فهم هناك

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه، ص١٤٧: روي عن زيد الشحام أنّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: «**كَمَنْ زَارَ اللهَ فِي عَرْشِهِ**». قلت: ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: «**كَمَنْ زَارَ رَسُولَ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم».

أيضاً، ولا فرق بين نبيّ وآخر، وهذا يعطينا بصيرة في أنّ زيارتنا للأئمّة عليهم السلام فيها نفحة رحمانيّة تدلُّنا على سائر الأنبياء والرسل[1].

البصيرة الثالثة: نقرأ في قصص الأنبياء كثيراً من فضائلهم وسيرتهم والتحديات التي واجهتهم ونصر الله لهم، وحينما نأتي إلى زيارة الإمام الحسين أو زيارة الامام الرضا عليه السلام نستذكر أنَّ تلك الفضائل، وتلك السيرة العطرة، وكلّ التحديات -أيّاً كانت- قد تمثَّلت في حياتهما عليهما السلام.

ولكن هناك نقطة هامّة في زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وذلك حينما تقرأ فيها: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِسْمَاعِيلَ ذَبِيحِ اللهِ**»، وهذه الكلمة الموجودة في زيارة الإمام الرضا غير موجودة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فلماذا نحن نسلِّم على الإمام الرضا بصفته وارث النبي إسماعيل عليه السلام ذبيح الله في أرضه؟

تقول الآية الكريمة: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]، فإسماعيل لم يُذبح وإنّما فداه الله بذبح عظيم، ولكن إسماعيل هيَّأ نفسه للذبح، وسلَّم أمره لله تعالى راضياً بقضائه.

وهكذا الإمام الرضا عليه السلام سلّم نفسه للقضاء، لأنّه كان يعلم -حينما

(١) كامل الزيارات لابن قولويه، ص١٧٩: روي عن الإمامين علي بن الحسين وجعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام أنّهما قالا: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُصَافِحَهُ مِائَةُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ فَلْيَزُرْ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّ أَرْوَاحَ النَّبِيِّينَ عليهم السلام يَسْتَأْذِنُونَ اللهَ فِي زِيَارَتِهِ فَيُؤْذَنُ لَهُمْ...**».

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٢ - ١٠٥.

خرج من المدينة المنورة مُجبَراً ومُكرَهاً، وهاجر عن أهله وعن موطنه- كان يعلم علم اليقين أنّه سيستشهد ولن يعود أبداً إلى تلك الربوع الطاهرة، ومع ذلك مضى في سبيل الله، ولذلك سُمِّي بالرضا والمرتضى، وقد ورد في التوسّل الخاص بالإمام الرضا عليه السلام: «**الراضي بالقدر والقضاء**»[1]. فكان يرى أنّ غايته العظيمة أعظم من نفسه الزكية التي قدَّمها قرباناً إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك دعى أهله بأن ينصبوا له العزاء وينوحوا ويبكوا عليه؛ لأنّه لن يعود إلى الدِّيار، بل سيستشهد هناك في أرض الغربة البعيدة عن موطنه وأهله وعشيرته، فقد روي عن الحسن بن الوشاء أنّه قال: قال لي الرضا عليه السلام: «**إِنِّي حَيْثُ أَرَادُوا الْخُرُوجَ بِي مِنَ الْمَدِينَةِ جَمَعْتُ عِيَالِي فَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَبْكُوا عَلَيَّ حَتَّى أَسْمَعَ، ثُمَّ فَرَّقْتُ فِيهِمْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَا أَرْجِعُ إِلَى عِيَالِي أَبَداً**»[2].

وهكذا بعد بيان وراثة الإمام الرضا عليه السلام للأنبياء، فإنّنا نؤكّد على وراثته للأئمّة المعصومين عليهم السلام أيضاً، لأنّهم جميعا من أصلٍ واحد كما في الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام الذي قَالَ: «**خَلْقُنَا وَاحِدٌ، وَعِلْمُنَا وَاحِدٌ، وَفَضْلُنَا وَاحِدٌ، وَكُلُّنَا وَاحِدٌ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» فقال الراوي: أخبرني بعدّتكم. فقال: «**نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ هَكَذَا حَوْلَ عَرْشِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَزَّ فِي مُبْتَدَئِ خَلْقِنَا؛ أَوَّلُنَا مُحَمَّدٌ، وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ، وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ**»[3].

وفي خاتمة الزيارة بيان للصفات المُثلى التي يجب أن تتكرَّس في حياة الأمّة، وأبرزها الفرائض الخمس، حيث نشهد ونقول: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ**

(١) زاد المعاد، ص٤٠٣.
(٢) عيون الأخبار الشيخ الصدوق، ج٢، ص٢١٧.
(٣) الغيبة (**للنعماني**)، ج١، ص٨٥.

الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ، وَعَبَدْتَ اللهَ مُخْلِصاً حَتَّى أَتَاكَ اليَقِينُ».

وبعد الزيارة نقرأ هذا الدعاء الجميل المعروف، وأبرز ما فيه هو التوسّل إلى الله بالإمام الرضا عليه السلام بأن يخلِّص الزائر من نار جهنّم، وممّا جناه على نفسه واحتطبه على ظهره، فيقول:

«بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَتَيْتُكَ زَائِراً وَافِداً عَائِذاً مِمَّا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وَاحْتَطَبْتُ عَلَى ظَهْرِي، فَكُنْ لِي شَافِعاً إِلَى اللهِ يَوْمَ فَقْرِي وَفَاقَتِي، فَلَكَ عِنْدَ اللهِ مَقَامٌ مَحْمُودٌ، وَأَنْتَ عِنْدَهُ وَجِيهٌ».

ثمّ تختم زيارتك بهذه الكلمات النورانية التي تؤكّد على عقيدتي التولّي والتبرّي حيث تقول:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي اتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِحُبِّهِمْ وَبِوَلَايَتِهِمْ، أَتَوَلَّى آخِرَهُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَهُمْ، وَأَبْرَأُ مِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَهُمْ.

اللَّهُمَّ العَنِ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَكَ، وَاتَّهَمُوا نَبِيَّكَ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِكَ، وَسَخِرُوا بِإِمَامِكَ، وَحَمَلُوا النَّاسَ عَلَى أَكْتَافِ آلِ مُحَمَّدٍ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا رَحْمَانُ».

ففي هذه الكلمات نؤكّد على عقيدة التولي لأولياء الله، والتبرّي من أعدائه.

وفي الحقيقة إنَّ وسيلة التبرّي هي أهمّ من كلّ وسيلة أخرى بعد وسيلة التولّي للنبي الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام التي يتقرّب بها الإنسان إلى الله،

وهكذا تصبح ولاية الإمام الرضا عليه السلام -كما ولاية أهل البيت عليهم السلام- محور سائر الصفات الحسنة لدى الإنسان المؤمن.

*****

بصائر وفوائد

١. وِحدة الرسالات الإلهيّة، ووِحدة الأنبياء والرُّسُل والأولياء، غايةٌ عظيمة لا بدَّ أن نكرِّسها في أنفسنا في مقابل الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً.

٢. الإمام الرضا عليه السلام كان يعلم علم اليقين حين خروجه من المدينة المنورة مُجبَراً ومُكرَهاً أنّه سيستشهد، وأنّه لن يعود أبداً إلى تلك الربوع الطاهرة، لكنّه سلّم نفسه لأمر الله.

٣. بعد وسيلة التولّي للنبي ولأهل بيته الأطهار عليهم السلام لا توجد وسيلةٌ للتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى أفضلُ من التبرِّي من أعدائه.

(9)



زيارة الإمام الجواد عليه السلام



نتشرّف بزيارة الإمام الجواد عليه السلام عند زيارة جدِّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في مدينة الكاظمية المشرَّفة، فنذكِّر أنفسنا بأنّه وليّ الله وحجّته، وأنّه نور الله في الأرض، فنقول:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ اللهِ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ».

فالأئمّة عليهم السلام هم حجج الله على الناس، هذا بالإضافة إلى الجانب الغَيْبي في شخصياتهم، إذ إنّهم نور الله في ظلمات الأرض، وربّنا سبحانه وتعالى أشار إلى هذه الحقيقة في سورة النور في الآية ٣٥، فبعد أنْ بيَّن أنّ الله نور السماوات والأرض، وأنَّ مَثَل نوره كمِشْكاةٍ فيها مصباح، بعد ذلك أشار إلى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأنّ هذه البيوت هي بيوت الرجال الذين يسبّحون الله في الليل والنهار، وبالتالي تمثّلت هذه المشكاة في بيت الرسالة[1].

---

(١) الكافي الشيخ الكليني، ج١، ص١٩٥: قال أبو عبد اللهَّ عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿**اَللهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاةٍ [فَاطِمَةُ] فِيهٰا مِصْبٰاحٌ [الْحَسَنُ] اَلْمِصْبٰاحُ فِي زُجٰاجَةٍ [الْحُسَيْنُ] اَلزُّجٰاجَةُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ [فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا] يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَكَةٍ [إِبْرَاهِيمُ] زَيْتُونَةٍ لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَلاٰ غَرْبِيَّةٍ [لَا يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ] يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِيءُ**

والإمام الجواد عليه السلام من أولئك الذين تجلّى نور الله بهم في الأرض.

ثمّ نذكّر أنفسنا بأنّه ابن رسول الله فنقول:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ رَسُولِ اللهِ».

ثمّ نسلّم عليه وعلى من سبقه من الآباء ومن لحقه من الأبناء وعلى أوليائه، فنقول:

«السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى آبائِكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى أَبْنائِكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى أَوْلِيائِكَ».

فالإمام الجواد عليه السلام، وقبله آباؤه المعصومون عليهم السلام، ومن بعده أبناؤه المعصومون عليهم السلام، ثمّ الأولياء، جميعهم ذُكِروا في هذه الزيارة، ونسلّم عليهم، وهذا شرف وفخر لأولئك الذين يوالون أولياء الله.

ثمّ نشهد له بعبادته وإنفاقه وتصدّيه للمسؤولية الرساليّة، ولنشره مفاهيم الكتاب للناس:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ، وَتَلَوْتَ الكِتابَ حَقَّ تِلاوَتِهِ».

هذه هي الصفات التي لا بدَّ أن نقتدي فيها بالإمام الجواد، ثمّ نقول:

«وَجاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ».

وهذه سِمَة يجب أن نتحلّى بها، وهي الجهاد بكلّ معنى الكلمة وفي كلّ الأبعاد.

[يَكَادُ الْعِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا] وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ [إِمَامٌ مِنْهَا بَعْدَ امَامٍ] يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ [يَهْدِي اللهُ لِلْأَئِمَّةِ مَنْ يَشَاءُ]﴾.

ومن صفاته البارزة صبره ومقاومته في مواجهة التحديات والأذى حتى لحظة لقاء الله:

«وَصَبَرْتَ عَلَى الأَذَى فِي جَنْبِهِ حَتّى أَتَاكَ اليَقِينُ».

ثمّ نرفع أيدينا بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى ونطلب الشفاعة من الإمام ونقول:

«أَتَيْتُكَ زَائِراً عَارِفاً بِحَقِّكَ، مُوالِياً لِأَوْلِيائِكَ، مُعادِياً لِأَعْدائِكَ، فَاشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ».

ثمّ نصلّي صلاة الزيارة ونقرأ هذه الكلمة المأثورة في حالة السجود بعد الصلاة:

«ارْحَمْ مَنْ أَسَاءَ وَاقْتَرَفَ وَاسْتَكَانَ وَاعْتَرَفَ».

ثمّ نضع الخد الأيمن على التراب ونقول:

«إِنْ كُنْتُ بِئْسَ العَبْدُ فَأَنْتَ نِعْمَ الرَّبُّ».

ثمّ نضع الخد الأيسر على التراب ونقول:

«عَظُمَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ فَلْيَحْسُنِ العَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ يَا كَرِيمُ».

ثمّ نعود للسجدة ونقول: «**شكراً شكراً**» مائة مرة[1].

*****

(١) المزار الكبير، ج١، ص٥٣٨.

بصائر وفوائد:

١. الأئمّة عليهم السلام هم حجج الله على الناس، هذا بالإضافة إلى الجانب الغَيْبي في شخصياتهم، إذ إنّهم نور الله في ظلمات الأرض.

٢. الجهاد في سبيل الله -بكلّ معنى الكلمة وفي كلّ الأبعاد- مِنْ أبرز صفات المعصومين التي يجب أن يتحلَّى بها الموالون لأهل البيت.

(10)

زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام

ونقف في رحاب الإمامين الهمامين العسكريين الإمام عليّ بن محمّد الهادي، والإمام الحسن بن عليّ العسكري عليهما السلام، ونحن كلّما اشتقنا إلى أئمّتنا وأردنا أن نجدّد بيعتنا لهم، وأن نبدي ولاءنا ومودتنا لهم، زرناهم زيارة حضورية، أو حتّى من موقع بعيد، فإنّ الله سبحانه وتعالى أعطى إلى أوليائه حياة أبدية، وإنَّ الإمامين العسكريين حاضران، ونستحضر حبّهما كما نستحضر ونجدِّد ولاءَنا لهما، ونقول ونحن في زيارة الإمامين:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكُما يا وَلِيَّي اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكُما يا حُجَّتَي اللهِ».

هنا بيان لصفتين من صفات الإمامين، وهما صفة ولاية الله، وصفة حجّة الله، فهما وليّانا وحجّتا الله علينا.

«اَلسَّلامُ عَلَيْكُما يا نُورَيِ اللهِ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ».

ونور الأئمّة من قبل الله سبحانه وتعالى، وهذا النور يشعّ علينا سواء عبر كلماتهم المضيئة، أو عبر سيرتهم العطرة، أو باعتبارهم مشكاة لنور الله في الأرض.

«اَلسَّلامُ عَلَيْكُما يا مَنْ بَدا للهِ فِي شَأْنِكُما».

وقصّةُ البداء قصّةٌ معروفة، وأنّ الله سبحانه وتعالى أظهر لعباده شأن هذين الإمامين بعد وفاتهما، ومن هنا أظهر مدى عظمتهما.

ثمّ نشير إلى عقيدتي التولّي والتبرّي ونحن في زيارة الإمامين:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا حَبِيبَيِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا إِمَامَيِ الْهُدَى، أَتَيْتُكُمَا زائِراً وعارِفاً بِحَقِّكُمَا، مُعادِياً لِأَعْدائِكُمَا، مُوالِياً لِأَوْلِيائِكُمَا، مُؤْمِناً بِما آمَنْتُمَا بِهِ، كافِراً بِما كَفَرْتُمَا بِهِ».

وهذه في الحقيقة هي مسؤوليتنا تجاه أئمّتنا؛ فنوالي وليّهم، ونعادي عدوّهم، ونعتقد بما اعتقدوا به من معارف إلهيّة، لأنّهم عليهم السلام نور الله في الأرض.

بعد ذلك نؤكّد على موقفنا من الحق والباطل اقتداءً بالإمامين:

«مُحَقِّقاً لِما حَقَّقْتُما، مُبْطِلاً لِما أَبْطَلْتُما».

ثمّ ندعو بدعاء عظيم ونقول:

«أَسْأَلُ اللهَ رَبّي وَرَبَّكُما انْ يَجْعَلَ حَظّي مِنْ زِيارَتِكُمَا الصَّلاةَ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَني مُرافَقَتَكُما فِي الجِنانِ مَعَ آبائِكُمَا الصّالِحِينَ».

وهذه الأمنية الشائقة يعيشها المؤمنون، بأن يكونوا في الجنة مع الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

«وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُعْتِقَ رَقَبَتي مِنَ النّارِ وَيَرْزُقَني شَفاعَتَكُما وَمُصاحَبَتَكُما، وَيُعَرِّفْ بَيْني وَبَيْنَكُما، وَلا يَسْلُبَني حُبَّكُما وَحُبَّ آبائِكُمَا الصّالِحِينَ».

وهذه الكلمة تنفعنا في أنّنا نطلب من الله حسن العاقبة، ثمّ نتمنّى تكرار الزيارة في الدنيا، والحشر معهما في جنان الخلد في الآخرة:

«وَأَنْ لا يَجْعَلَهُ آخِرَ العَهْدِ مِنْ زِيارَتِكُما، وَيَحْشُرَني مَعَكُما فِي الجَنَّةِ بِرَحْمَتِهِ».

وندعو مرة أخرى:

«اَللّـهُمَّ ارْزُقْني حُبَّهُما، وَتَوَفَّني عَلى مِلَّتِهِما، اللّهُمَّ العَنْ ظالِمي آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ وَانْتَقِمْ مِنْهُمْ، اللّـهُمَّ العَنِ الأَوَّلِينَ مِنْهُمْ وَالآخِرِينَ وَضاعِفْ عَلَيْهِمْ العَذابَ، وَبَلِّغْ بِهِمْ وَبِأَشْياعِهِمْ وَبِأَتْبَاعِهِمْ وَمُحِبّيهِمْ وَمُتَّبِعيهِمْ أَسْفَلَ دَرْكٍ مِنَ الجَحيمِ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيء قَديرٌ».

وفي نهاية الزيارة ندعو الله سبحانه وتعالى بتعجيل الفرج ونقول:

«اَللّـهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَ وَلِيِّكَ وَابْنِ وَلِيِّكَ، وَاجْعَلْ فَرَجَنا مَعَ فَرَجِهِمْ يا أَرْحَمَ الرّاحِمين»[1].

وهكذا تنتهي زيارة الإمامين عليّ بن محمّد الهادي، والحسن بن عليّ العسكري عليهما السلام ونسأل الله القبول.

*****

بصائر وفوائد

١. نحن الموالون كلّما اشتقنا إلى أئمّتنا، وأردنا أن نجدّد بيعتنا لهم، وأن نبدي ولاءنا ومودّتنا لهم، زرناهم زيارة حضورية، أو حتّى من موقع بعيد، فإنّ الله سبحانه وتعالى أعطى إلى أوليائه حياة أبدية.

٢. إنَّ نور الأئمّة هو من قِبَل الله سبحانه وتعالى، وهذا النور يشعّ علينا سواء عبر كلماتهم المضيئة، أو عبر سيرتهم العطرة، أو باعتبارهم مشكاة لنور الله في الأرض.

---

(١) نصوص الزيارة، من: كامل الزيارات، ص٣١٣و٣١٤.

(11)

زيارة آل ياسين

زيارة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)

ونحن في رحاب زيارة مولانا الإمام الحجّة بن الحسن المهدي (**عجل الله تعالى فرجه**) نقول في المقدمة:

أوّلاً: زيارته عليه السلام نؤدّيها في كلّ حال وفي كلّ مكان، وكلّما زرنا الإمام استحضرنا ولايته وتسليمنا له وانتظارنا ليومه الموعود ليقيم دولة الحق والعدل في ربوع الأرض.

ثانياً: بالرغم من أنّ أولياء الله -كالأنبياء والأئمّة والشهداء- أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون، إلّا أنّ لزيارة الإمام الحجّة (**عج**) جانباً آخر، وهو أنّ حياته ليست فقط حياة ملكوتية، وإنّما هي حياة دنيوية كحياة سائر الناس على وجه الأرض، لكنه في هالة من الغيب، فهو حيّ كحياتنا بالإضافة إلى حياته الأخرى، فينبغي حين زيارته أن نستحضر هذه الحقيقة، فهو الغائب الحاضر فينا دوماً.

ثالثاً: هناك زيارات كثيرة للإمام ذُكرت في المصادر الحديثية والمرتبطة بالأدعية، إلّا أنّنا نختار زيارة واحدة منها، لأنّ الزيارات المتعددة في الحقيقة هي تعابيرٌ مختلفة عن بعضها البعض، وتأكيدٌ على الحقائق المسلّمة عندنا من

التسليم له ولآبائه، وانتظار فرجه، وبيان مناقبه كمناقب آبائه، ومن الدعاء في حضرته لتحقيق الحاجات التي نحسّ بها، فمن بين تلك الزيارات نختار زيارة آل ياسين ونبيّن بعض البصائر المستوحاة من هذه الزيارة الشريفة.

نبدأ الزيارة المروية عن الإمام الحجّة نفسه (**عجل الله تعالى فرجه**)، حيث جاء في توقيعه في الغيبة الصغرى:

«إِذَا أَرَدْتُمُ التَّوَجُّهَ بِنَا إِلَى اللهِ وَإِلَيْنَا فَقُولُوا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:

«**سَلَامٌ عَلَى آلِ يس. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللهِ وَرَبَّانِيَّ آيَاتِهِ**».

ففي بداية الزيارة نسلِّم على الإمام باعتباره من آل يس، و(**يس**) اسم من أسماء النبي محمّد ﷺ، و(**آل يس**) يعني أهل بيت النبي حسب بعض التفاسير من أهل البيت[1]، ثمّ نسلِّم عليه باعتباره يدعو إلى الله، وكذلك يربِّي الناس على آيات الله. ربما كانت كلمة «**دَاعِيَ اللهِ**» إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**﴾[2].

وأمّا كلمة «**رَبَّانِيَّ آيَاتِهِ**» فلعلّها إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ**

(١) في حوار بين الإمام الرضا عليه السلام وبين العلماء بحضور المأمون قال الامام عليه السلام: (أَخْبِرُونِي عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ فَمَنْ عَنَى بِقَوْلِهِ يس؟) قال العلماء: يس محمّد ﷺ، لم يشكّ فيه أحد. قال أبو الحسن: «فَإِنَّ اللهَ أَعْطَى مُحَمَّداً ﷺ وَآلَ مُحَمَّدٍ مِنْ ذَلِكَ فَضْلًا لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ كُنْهَ وَصْفِهِ إِلَّا مَنْ عَقَلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾ وَقَالَ: ﴿**سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ وَقَالَ: ﴿**سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ**﴾ وَلَمْ يَقُلْ: سَلَامٌ عَلَى آلِ نُوحٍ، وَلَمْ يَقُلْ: سَلَامٌ عَلَى آلِ مُوسَى، وَلَا آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ: ﴿**سَلَامٌ عَلَى آلِ يس**﴾ يَعْنِي آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ». الأمالي للصدوق، ص٥٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[١].

وكلمة (**ربانيّ**) النسبة فيها إمّا إلى الرب، وإمّا إلى التربية، وكذلك كلمة (**ديّان الدِّين**)، بمعنى أنّه هو الذي يحقّق بصائر الدِّين، وينفِّذ أحكام الدِّين في هذه الحياة، ويشرف على المؤمنين المتديّنين:

«سَلامٌ عَلى آلِ يس، السَّلامُ عَلَيكَ يَا دَاعِيَ اللهِ وَرَبَّانِيَّ آيَاتِهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يا بَابَ اللهِ وَدَيَّانَ دِينِهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يَا خَلِيفَةَ اللهِ وَناصِرَ حَقِّهِ، السَّلامُ عَليكَ يَا حُجَّةَ اللهِ وَدَلِيلَ إِرَادَتِهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يَا تَالِيَ كِتَابِ اللهِ وتَرجُمَانَهُ».

فالأئمّة -في الحقيقة- هم القرآن الناطق حيث يفسّرون ويبيّنون القرآن الصامت، ثمّ نقول:

«السَّلامُ عَلَيكَ فِي آناءِ لَيْلِكَ وَأطرافِ نَهارِكَ، السَّلامُ عَلَيكَ يا بَقِيَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ».

وفي ذلك إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: **﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[٢]، أي مَنْ يبقى -رغم كلّ الانسحابات والهزائم من الناس- رافعاً علم الدِّين هم الأئمّة وأنصارهم، وهذه إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: **﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾**[٣].

ثمّ نواصل الزيارة:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٦.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٦.

«السَّلامُ عَلَيكَ يا مِيثاقَ اللهِ الذي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ».

إنَّ ربنا سبحانه وتعالى نشر أصولنا -نحن البشر- في عالم يسمَّى **(عالم الذر)** وأخذ منا ميثاقاً بوحدانيته، ويبدو أنّ الميثاق شمل أيضاً الأنبياء وكذلك الإمام **(عجل تعالى فرجه)** وسائر الأئمّة.

«السَّلامُ عَلَيكَ يا وَعْدَ اللهِ الَّذي ضَمِنَهُ».

أليس ربّنا سبحانه وتعالى وعد بأن ينصر الدِّين ويظهره على الدِّين كلّه؟ فالإمام الحجّة يمثّل ذلك الوعد، فحينما يَظهَر يُظهِر الدِّين كلّه.

«السَّلامُ عَلَيكَ أَيُّها العَلَمُ المَنْصُوبُ، وَالعِلْمُ المَصْبُوبُ، وَالغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الواسِعَةُ وَعْداً غَيْرَ مَكْذُوبٍ».

المصبوب يعني ينصبّ صبّاً بدون توقّف، والغوث حيث إنَّ الإمام يغيث الناس، وهو الرحمة الواسعة، وكلّ هذا وعدٌ غير مكذوب.

ثمّ نسلِّم على الإمام في حالاته المختلفة:

«السَّلامُ عَلَيكَ حِينَ تقُومُ، السَّلامُ عَليكَ حِينَ تَقعُدُ، السَّلامُ عَليكَ حين تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ، السَّلامُ عَليكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقنُتُ، السَّلامُ عَلَيكَ حِينَ تَركعُ وَتَسْجُدُ، السَّلامُ عَلَيكَ حِينَ تُهَلِّلُ وَتُكبِّرُ، السَّلامُ عَلَيكَ حينَ تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ، السَّلامُ عَلَيكَ حين تُصْبِحُ وَتُمْسِي، السَّلامُ عَلَيْكَ فِي اللَّيلِ إذا يَغْشَى وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى».

وهكذا نحن نسلِّم على الإمام في حالاته التي هي قمَّة في الإيمان، وعلينا أن نقتدي به فيها.

ثمّ نبيِّن بعض صفات ومناقب الإمام **(عج)**، فنقول:

«السَّلامُ عَلَيكَ أَيُّها الإِمامُ المَأْمُونُ».

يعني مَنْ عنده أمانة الله وهي الإمامة والولاية.

«السَّلامُ عَليكَ أَيُّها المُقَدَّمُ المَأْمُولُ».

فنحن نأمل أن يظهر الإمام، وينشر راية العدل في الآفاق، ويبني دولة العدل المنتظرة.

«السَّلامُ عَلَيكَ بِجَوَامِعِ السَّلامِ».

أي بكلّ ما في السَّلام من آفاق وأبعاد.

ثمّ بعد ذلك نُشهدِ الإمام عليه السلام بحقائق الدِّين التي نلتزم بها فنقول:

«أُشْهِدُكَ يا مَوْلايَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلّا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ ورسُولهُ، لا حَبِيبَ إِلّا هُو وَأهلُهُ، وأُشْهِدُكَ يا مَوْلايَ أَنَّ عليّاً أميرَ المُؤمِنِينَ حُجَّتُهُ، وَالحَسَنَ حُجَّتُهُ، وَالحُسَيْنَ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ حُجَّتُهُ، وَمُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَجَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَمُوسَى بنَ جَعْفَرٍ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بنَ مُوسَى حُجَّتُهُ، وَمُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَالحَسَنَ بنَ عليٍّ حُجَّتُهُ».

هكذا نحن نستعرض إيماننا بالأئمّة المعصومين عليهم السلام، حيث نذكرهم ونذكر أسماءهم المباركة، وهي في الحقيقة نور ورشد. ثمّ نقول:

«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللهِ، أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لا رَيْبَ فيها، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمانُها لَمْ تكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمانِهَا خَيْراً، وَأَنَّ المَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ نَاكِراً وَنَكِيراً حَقٌّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ النَّشْرَ حَقٌّ، وَالبَعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ وَالمِرْصَادَ حَقٌّ».

لعلّ معنى كلمة المرصاد -كما يقول البعض- هو المصير إلى الله، لأنّ هناك رصداً لأعمالنا؛ إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فجزاؤه شر.

«وَالمِيزَانَ حَقٌّ، وَالحَشْرَ حَقٌّ، وَالحِسَابَ حَقٌّ، وَالجَنَّةَ وَالنّارَ حَقٌّ، وَالوَعْدَ وَالوَعِيدَ بِهِما حَقٌّ».

الوعد هو البشارة بالجنة، والوعيد هو الإنذار بالنار، وكلاهما حق.

«يا مَوْلَايَ، شَقِيَ مَنْ خالَفَكُمْ، وَسَعِدَ مَنْ أَطَاعَكُمْ، فَاشْهَدْ عَلى مَا أَشْهَدْتُكَ عَلَيْهِ، وَأَنَا وَلِيٌّ لكَ برِيءٌ مِنْ عَدُوِّكَ».

هكذا نحن نستذكر عقائدنا ونبيِّنها أمام مولانا لنزداد ثباتاً عليها.

«فَالحَقُّ ما رَضِيتُمُوهُ، وَالباطِلُ مَا أَسْخَطْتُمُوهُ، وَالمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَالمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ، فَنَفْسِي مُؤْمِنَةٌ بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لهُ، وَبِرسولهِ وَبِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَبِكُمْ يَا مَوْلايَ، أَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَنُصْرَتِي مُعَدَّةٌ لكُمْ، وَمَوَدَّتِي خَالِصَةٌ لَكُمْ، آمِينَ آمِينَ».

وبعد هذه الزيارة، هناك دعاء وهو تكرار للأدعية المعروفة عندنا نحن الشيعة، لذلك لا نتعرّض له، ولكن نبيِّن جانباً آخر من زيارة أخرى للإمام حيث نقول:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يا خَليفةَ اللهِ وَخَلَيفةَ آبائِهِ المَهْدِيّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وَصِيَّ الأَوْصِياءِ الماضينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حافِظَ أَسْرارِ رَبِّ العالَمَينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا بَقِيَّةَ اللهِ مِنَ الصَّفْوَةِ المُنْتَجَبينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ الأَنْوارِ الزّاهِرَةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ الأَعْلامِ الباهِرَةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ العِتْرَةِ الطّاهِرَةِ».

وهكذا نبيِّن أنّ الإمام هو في سلسلة الأئمّة الماضين، وأنّهم من معدن

واحد ومن ينبوع واحد.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدنا إيماناً بهم وثباتاً على ولايتهم، وألّا يفرق بيننا وبينهم طرفة عين أبداً في الدنيا والآخرة، بحقّ محمّد وعترته الطاهرة.

*****

بصائر وفوائد

١. إنَّ الزيارات المتعدّدة للإمام الحجّة هي تعابيرٌ مختلفة عن بعضها البعض، وتأكيدٌ على الحقائق المسلّمة عندنا من التسليم له ولآبائه، وانتظار فرجه، وبيان مناقبه عليه السلام كمناقب آبائه الطاهرين.

٢. ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ تعني أنَّ مَنْ يبقى -رغم كلّ الانسحابات والهزائم من الناس- رافعاً علم الدِّين هم الأئمّة الهداة وأنصارهم المؤمنون.

الفصل الثاني



الزيارات الجامعة





(12)

زيارة أمين الله

حينما نتوجّه إلى زيارة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام في مراقدهم الشريفة، فهناك زيارات خاصَّة بكلّ منهم، وزيارات عامَّة يمكن أن يُزار بها جميعهم، ومن الزيارات التي يعتمدها الكثير من علمائنا الأعلام زيارة (**أمين الله**)[1]، وهنا نتشرَّف بدراية هذه الزيارة الجليلة لعلّنا نستفيد منها المزيد من المعارف الإلهيّة.

ولكن قبل ذلك لا بدَّ أن نعرف أنّ هذه الزيارات كنوز لمعرفة الله، وكثير منها تؤكّد المعارف التي من المفترض أن يكون المؤمن قد تزوَّد بها. فالإنسان قد يتعرَّض لعواصف من الشهوات، وسُحُب من النسيان والانشغال

---

(١) قال الشيخ عباس القمي في (**مفاتيح الجنان**)، الفصل الثاني في زيارة أمير المؤمنين: «الزيارة الثانية هي الزيارة المعروفة بأمين الله، وهي في غاية الاعتبار، ومروية في جميع كتب الزيارات والمصابيح». وقال العلامة المجلسي رحمه الله: «إنّها أحسن الزّيارات متناً وسَنداً، وينبغي المُواظبة عليها في جَميع الرّوضات المقدّسة، وَهي كما روي بأسناد معتبرة عن جابر عَنِ الإمام الباقر عليه السلام...» وفي كامل الزيارات لابن قولويه، ج١، ص٣٩، قال: «حدّثني أبو علي أحمد بن علي بن مهدي، قال: حدّثني أبي علي مهدي بن صدقة الرقي، قال: حدّثني علي بن موسى، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه جعفر عليه السلام قال: زار زينُ العابدين عليُّ بن الحسين عليه السلام قبرَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ووقف على القبر فبكى، ثمّ قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته...» إلى آخر الزيارة.

بأمور دنيوية كثيرة، ممّا يجعل معارفه التي اكتسبها والتي وفِّق لها تتعرَّض للانحسار، ممّا يدعو الإنسان المؤمن أن يعوِّض هذا الانحسار عبر التزوّد المستمر من المناهل الأصيلة ومنها الزيارات والأدعية.

فعلى الإنسان التزوّد بواسطة الزيارات الشريفة والأدعية المباركة، وتعزيزها بالنوافل والمستحبات الواردة، ليصل الإنسان إلى القمَّة السَّامقة التي يمكن أن يصل إليها المؤمن في معارفه، وهناك دائماً خطر التسافل عنها بسبب الظروف المحيطة، وكم مِن رجال كانوا في قمَّة المعارف، ولكنهم حين خاضوا تجاربهم الحياتيّة الخاصّة فقدوا الكثير من هذه المعارف، حتّى إذا جاءهم الموت كانوا في درجات أدنى من اليقين ومن المعرفة، نعوذ باللهّ من سوء العاقبة.

وفي بداية زيارة أمين الله -التي وإنْ وردت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أنّها لا تختصّ به، بل يمكن أن نزور بها كلّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام- نخاطب أمير المؤمنين عليه السلام، أو كلّ واحد من الأئمّة على حِدة، ونقول:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أَمِينَ اللهِ في أَرْضِهِ وَحُجَّتَهُ عَلى عِبادِهِ».

الأمانة الإلهيّة العامّة لكلّ البشر أمانةٌ عظيمة، وقد قال عنها ربّنا سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[1]، والإنسان حمل الأمانة العظيمة التي هي توحيد الله وعدم الشِّرك به، والالتزام بسائر الأحكام الشرعية، وهذه الأمانة أعطاها ربّنا للبشرية عموماً، وللمؤمنين بصورة خاصّة.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

وأمّا بالنسبة إلى أئمّة الهدى -وفي طليعتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام- فهم أمناء على هذه الأمانة الربَّانية، وهي المعارف الإلهية بما فيها من أحكام وسنن وأخلاق وآداب، فكلّها مودعة عند أمير المؤمنين عليه السلام عبر ولايته ورسالته، ثمّ أودعها عليه السلام إلى الأئمّة المعصومين من ولده.

وحينما تكون الأمانة من الله سبحانه وتعالى ربّ السماوات والأرض علينا أن نعرف مدى أهميّتها وضرورتها، لأنّ ربنا سبحانه حين يستأمن شخصاً على دينه وعلمه وحكمته وسرِّه، فهذا يعني أنّ هذا الشخص معصوم؛ أي عصمه الله من الخطل والزلل، كما في آية كريمة بالنسبة إلى الأنبياء: ﴿**عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**﴾[1]، فحينما يُطلع ربّنا سبحانه وتعالى أنبياءه على الغيب يحيط بهم بالرَّصد والمراقبة الدقيقة؛ لكي يبلِّغوا هذا الغيب إلى أممهم، ويعملوا بمقتضاه في حياتهم.

فأمانة الله عند النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمّة المسلمين من أهل بيته عليهم السلام ذات دلالة التزامية على أنّهم معصومون، وأنّ الله عصمهم، وهذه الأمانة تنعكس وتتحوّل إلى حُجّة، ولذلك نسلِّم على الإمام بأنّه الحجّة على العباد: «**وَحُجَّتَهُ عَلى عِبادِهِ**».

فالإمام حجّة ولا بدَّ أن يُتَّبع ويُقتدى به، وإنْ لم يُتَّبع يكون ذلك خطيئة كبيرة يحاسَب عليها الإنسان، والحجّة تعني أنّ علينا أن نستوعب هذه الأمانة، ونستوعب هذا الأمر الإلهي وهو أمانة الله التي أُودعت في أهل

(١) سورة الجن، الآية: ٢٦ - ٢٨.

البيت الأطهار عليهم السلام. ثمّ نقول:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ».

فنُسلِّم عليه بإمرة المؤمنين التي جعلها الله له، هذا إذا كنا نزور الإمام علي عليه السلام، وإنْ كنا نزور بها سائر الأئمّة المعصومين فعلينا أن نذكرهم بأسمائهم، ثمّ نقول:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ جاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ».

وجهاد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بناءُ الإسلام، وجهاد الأئمّة المعصومين حِفظُه، فجهادهم لا يُحدّ بحدٍّ، لأنّهم قدَّموا كلّ ما لديهم في سبيل الله، ولم يُبقوا لأنفسهم شيئاً، فكلّ شيء عندهم ولديهم كان في سبيل الله.

هذا الجهاد هو حقّ الجهاد حتّى يأتي اليقين، وهذا الجهاد يكون من أبعاده الأساسية العمل بالكتاب العزيز واتباع سنَّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا نشهد للإمام عليه السلام بذلك فنقول:

«وَعَمِلْتَ بِكِتابِهِ، وَاتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

والتأكيد على اتّباع سنَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّما يأتي لكي لا نفرّق بين النبي وبين الأئمّة عليهم السلام، ونعرف أنّ الأئمّة هم في المرتبة الثانية بعد النبي، وقد حملوا رسالة النبي الأعظم بعد رحيله من الدنيا حتى اختارهم الله سبحانه وتعالى ودعاهم إلى جواره فأجابوا:

«حَتّى دَعاكَ اللهُ إِلى جِوارِهِ، فَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيارِهِ، وَأَلْزَمَ أَعْداءَكَ الْحُجَّةَ مَعَ مالَكَ مِنَ الْحُجَجِ البالِغَةِ عَلى جَمِيعِ خَلْقِهِ».

ومعنى ذلك أنّ الأئمّة عليهم السلام حينما انتقلوا إلى رحمة الله في الملكوت الأعلى،

كانت نهايتهم وعاقبتهم حجّة أُخرى علينا، لأنّهم لم يغيِّروا ولم يبدِّلوا في شيء من الرسالة من بداية حياتهم إلى نهايتها، بل كانت حياتهم كلّها في سبيل الله سبحانه وتعالى، وعاقبتهم التي هي عاقبة الشهادة ذات دلالة أخرى على رسالتهم، وعلى أنّهم حجّة الله على خلقه وأوليائه في عباده.

الدعاء في الزيارة

وبعد هذا السلام على الإمام والشهادة له نبدأ بالدعاء في ذلك المكان الطاهر وعند الإمام المطهَّر.

والدعاء في الزيارات الشريفة ليس نادراً، والسبب في ذلك أنّ الزيارة تهدف إلى تأكيد المعارف الالهيّة في النفوس، وكذلك الدعاء له نفس الدور، فهما يصدران من مشكاة واحدة، ولذا نطلب من الله أن يجعل النفس راضية مطمئنّة بقضائه، والنفس حينما تكون مطمئنّة فإنّ وساوس الشيطان ليس لها تأثير فيها، وذلك لأنّ الشيطان يستخدم وسيلتي: الترهيب والترغيب، وهما لا يؤثّران في النفس المطمئنّة، ولذا نقول:

«اللّـهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ، راضِيَةً بِقَضآئِكَ، مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعائِكَ، مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيائِكَ، مَحْبُوبَةً فى أَرْضِكَ وَسَمآئِكَ، صابِرَةً عَلى نُزُولِ بَلائِكَ، شاكِرَةً لِفَواضِلِ نَعْمائِكَ، ذاكِرَةً لِسَوابِغِ آلائِكَ، مُشْتاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقآئِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوى لِيَوْمِ جَزآئِكَ، مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيائِكَ، مُفارِقَةً لأَخْلاقِ أَعْدائِكَ، مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيا بِحَمْدِكَ وَثَنائِكَ».

هذه الكلمات الرائعة هي في الواقع جملة من الصِّفات الحسنة التي يتمتَّع بها المؤمنون بعد الاطمئنان والرِّضا، فتراهم يتواصلون مع أولياء الله، ويبتعدون عن أعدائه، ويرغبون فيما أعدَّ الله للمؤمنين من الثواب، وفي نفس الوقت لا

يشغلون أنفسهم بتوافه الدنيا، بل شغلهم الشاغل النجاة من النار والفوز بالجنّة والرِّضوان، وهم يعرفون الطريق إلى ذلك بالاقتداء بسنن الأولياء، والابتعاد عن أخلاق الأعداء.

ولكنّ الدعاء لا يكتمل ولا يتوقّف عند هذا الحد، وإنّما يستمرُّ بأسلوب جميل في الفقرة التالية، وهذه الفقرة تشير إلى أخلاق المؤمنين، حيث نقول فيها:

«اَللّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتينَ إِلَيْكَ والِهَةٌ، وَسُبُلَ الرّاغِبينَ إِلَيْكَ شارِعَةٌ، وَأَعْلامَ القاصِدينَ إِلَيْكَ واضِحَةٌ، وَأَفْئِدَةَ العارِفينَ مِنْكَ فازِعَةٌ، وَأَصْواتَ الدّاعينَ إِلَيْكَ صاعِدَةٌ، وَأَبْوابَ الإِجابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ، وَدَعْوَةَ مَنْ ناجاكَ مُسْتَجابَةٌ، وَتَوْبَةَ مَنْ أَنابَ اَلَيْكَ مَقْبُولَةٌ، وَعَبْرَةَ مَنْ بَكى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ، وَالإِغاثَةَ لِمَنِ اسْتَغاثَ بِكَ مَوْجُودةٌ، وَالإِعانَةَ لِمَنِ اسْتَعانَ بِكَ مَبْذُولَةٌ، وَعِداتِكَ لِعِبادِكَ مُنْجَزَةٌ، وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقالَكَ مُقالَةٌ، وَأَعْمالَ العامِلينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ، وَأَرْزاقَكَ إِلَى الخَلائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نازِلَةٌ، وَعَوائِدَ المَزيدِ إِلَيْهِمْ واصِلَةٌ، وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرينَ مَغْفُورَةٌ، وَحَوائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ، وَجَوائِزَ السّائِلينَ عِنْدَكَ مُوَفَّرَةٌ، وَعَوائِدَ المَزيدِ مُتَواتِرَةٌ، وَمَوائِدَ الْمُسْتَطْعِمينَ مُعَدَّةٌ، وَمَناهِلَ الظِّماءِ مُتْرَعَةٌ. اَللّهُمَّ فَاسْتَجِبْ دُعائِي، وَاقْبَلْ ثَنائِي، وَاجْمَعْ بَيْني وَبَيْنَ أَوْلِيائِي، بِحَقِّ مُحَمَّد وَعَلِيّ وَفاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، إِنَّكَ وَلِيُّ نَعْمائِي، وَمُنْتَهى مُنايَ، وَغايَةُ رَجائِي في مُنْقَلَبي وَمَثْوايَ».

الرغبة والشوق إلى الله

وفي هذا الدعاء نبدأ بالثناء على الله تعالى، لأنّ الدعاء يجب أن يسبقه الثناء على الربِّ المنعم وشكر نِعَمه، فنقول:

«إِنَّ قُلُوبَ المُخْبِتينَ إِلَيْكَ والِهَةٌ، وَسُبُلَ الرّاغِبينَ إِلَيْكَ شارِعَةٌ».

أي إنّ القلوب مشتاقة جداً، والطريق إلى الله مفتوح، إذ ليس هناك مَنْ يسدُّ هذا الطريق، وهذا يشبه قولنا في دعاء أبي حمزة الثمالي: **«وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ المَسَافَةِ، وَأَنَّكَ لَا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ، إِلَّا أَنْ تَحْجُبَهُمُ الأَعْمَالُ دُونَكَ»**[1].

ولذا نطلب من ربّنا سبحانه وتعالى ونتوسَّل إليه أن يُنزل علينا رحمته كالموائد المبسوطة، والمناهل والينابيع المادية أو المعنوية، وهي العلوم والمعارف المليئة والمترعة بالخيرات والبركات وأسباب الحياة الحرة الكريمة:

«وَعَوائِدَ المَزيدِ مُتَواتِرَةٌ، وَمَوائِدَ المُسْتَطْعِمينَ مُعَدَّةٌ، وَمَناهِلَ الظِّماءِ مُتْرَعَةٌ».

وبعد الثناء على الله سبحانه وتعالى وبيان صفاته الحميدة ونعمه الكثيرة، ندعو الله أن يحفظ أولياءنا ويقهر أعداءنا:

«أَنْتَ إِلَهي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ، اغْفِرْ لِأَوْلِيائِنا، وَكُفَّ عَنّا أَعْداءَنا وَاشْغَلْهُمْ عَنْ أَذانا، وَأَظْهِرْ كَلِمَةَ الحَقِّ وَاجْعَلْهَا العُلْيا، وَأَدْحِضْ كَلِمَةَ الباطِلَ وَاجْعَلْهَا السُّفْلى، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ».

إنَّ هذه البصيرة -حفظ المؤمنين وقهر الكافرين- هي نقطة ذات أهمية خصوصاً في زيارة **(أمين الله)** الشريفة، حيث وردت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في وقت كان قبره الشَّريف خفيّاً على الناس بسبب سلطات الجور، وظلَّ الناس لا يعرفون قبر الإمام علي عليه السلام ويزورونه من بعيد، ولعلّ بعض الشيعة المخلصين كانوا يصلون إلى القبر الشريف، ولكن ليس كلّهم.

---

(١) مصباح المتهجد، ج٢، ص٥٨٢.

ومن هنا جاء الدعاء من المؤمنين في تلك الفترة نصرةً لإخوانهم الصالحين وقهراً للكفار.

أمّا في عصرنا الحاضر فنحن نقرأ هذا الدعاء الذي يتضمَّن الدعاء للمؤمنين ولأولياء الله، لأنّنا في الزيارات نلتقي بالمؤمنين الزائرين، وحينما يأتون إلى الزيارة وهم من قوميات مختلفة وبلدان متباعدة ولغات متفرّقة، علينا أن نتعارف معهم وندعو الله سبحانه لهم، لكي تتعمق العلاقة الإيمانية بيننا وبينهم وبين المؤمنين جميعاً، وهذه من فوائد الزيارات كلّها، ولذلك نقرأ في زيارة أمين الله: «**إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ اغْفِرْ لِي وَلِأَوْلِيَائِنَا، وَكُفَّ عَنَّا أَعْدَاءَنَا، وَاشْغَلْهُمْ عَنْ أَذَانَا، وَأَظْهِرْ كَلِمَةَ الحَقِّ، وَاجْعَلْهَا العُلْيَا، وَأَدْحِضْ كَلِمَةَ البَاطِلِ، وَاجْعَلْهَا السُّفْلَى**».

*****

بصائر وفوائد

١. الزيارات كلّها هي في الحقيقة كنوز لمعرفة الله، وكثير منها تؤكّد المعارف التي من المفترض أن يكون المؤمن قد تزوَّد بها، لكن لأنّ الإنسان يتعرَّض لعواصف الشهوات، وسُحُب النسيان، والانشغال بأمور دنيوية كثيرة، فإنّه يغفل عن معارفه التي اكتسبها، ممّا يدعو الإنسان المؤمن أن يعوِّض هذا الانحسار بالتزوّد من الزيارات الشريفة والأدعية.

٢. المؤمنون بعد الاطمئنان والرِّضا، يتواصلون مع أولياء الله، ويبتعدون

عن أعدائه، ويرغبون فيما أعدَّ الله للمؤمنين من الثواب، وفي نفس الوقت لا يشغلون أنفسهم بتوافه الدنيا، بل شغلهم الشاغل النجاة من النار، والفوز بالجنّة والرِّضوان.

(13)

الزيارة الجامعة الكبيرة[1]

مقدّمة

من الزيارات الجامعة وأبرزها وأشهرها الزيارةُ الجامعة الكبيرة المعروفة، ولا بدّ من التمهيد للحديث عن هذه الزيارة العظيمة بالقول:

إنَّ الشيعة ممّن تمسّكوا صادقين بمنهاج النبي ﷺ الذي أمرهم به حين قال ﷺ: «**كَأَنِّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ؛ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونَنِي فِيهِمَا**»[2].

---

(١) روى هذه الزيارة الشيخ الصدوق في كتابه (مَن لا يحضره الفقيه)، ج٢، ص٣٨٥، والشيخ الطوسي في كتابه (تهذيب الأحكام)، ج٦ ص٩٥، وقال السيد عبد الله شبر في كتابه (الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، ص٢٩): (لا يخفى على أولي البصاير النقادة، وأرباب الأذهان الوقادة، وذوي العقول السليمة، وأصحاب الأفهام المستقيمة، أنّ الزيارة الجامعة الكبيرة أعظم الزيارات شأناً، وأعلاها مكانة ومكاناً، وأنّ فصاحة ألفاظها وفقراتها، وبلاغة مضامينها وعباراتها تنادي بصدورها من عين صافية نبعت عن ينابيع الوحي والإلهام، وتدعو إلى أنّها خرجت من ألسنة نواميس الدِّين ومعاقل الأنام، فإنّها فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق الملك العلّام). وقال الشيخ المجلسي في (بحار الأنوار، ج١٠٢، ص١٤٤): (إنّها أصح الزيارات سنداً، وأعمَّها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنى، وأعلاها شأناً). وكرّر الكلام وزاد عليه الشيخ عباس القمي في (**مفاتيح الجنان، ص٦٢٣**).

(٢) عيون الأخبار الشيخ الصدوق، ج٢، ص٣٠، وصحيح الترمذي، ح ٣٧٨٨، وحكم

ورغم أنَّ شيعة أهل البيت تعرّضوا -عبر التاريخ- لمحاولات الإبادة الجماعية، وللظلم والاضطهاد، وللكثير من الضغوط من قبل سلطات الجور وحكّام الظلم، لكنهم حافظوا على أنفسهم ووجودهم، و ظلّت عقائدهم صافية نقية.

والسؤال: كيف؟

فبالرغم من كلّ تلك الهجمات العنيفة، والجرائم المتتالية عليهم عبر العصور إلّا أنّهم صمدوا، إنَّ ذلك كان بسبب وجود ملاحم عظيمة عند الشيعة، كان من أبرزها وأعظمها ملحمة عاشوراء الخالدة التي ألهمتهم الصبر والصمود والتَّحدي.

ولكن هناك عوامل أخرى لصمودهم، من أبرزها النصوص التي كان الشيعة يتوارثونها ويتديَّنون بها بعد القران الكريم، ومنها الأدعية المأثورة كالصحيفة السجادية والتي تُعرف بـ **(زبور آل محمد)**، ودعاء الصباح، ودعاء كميل بن زياد، وسائر الأدعية الواردة في المناسبات، مثل: دعاء أبي حمزة الثمالي لأسحار شهر رمضان، ودعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة، ومنها النصوص المتوارثة في الزيارات المختلفة لأئمّة الهدى عليهم السلام، وكلّ هذه في الواقع تثقيفٌ متكامل للإنسان الموالي، وفي نفس الوقت تحفيزٌ له على الصبر والصمود، كزيارة عاشوراء، والأربعين، والغدير، وغيرها.

ومن تلك الكنوز المعرفية هي الزيارة الجامعة الكبيرة، وما يُميِّزها عن غيرها:

أوّلاً: قد لا نجد في كلّ الزيارات الشريفة ذكراً للربّ سبحانه وتعالى،

الألباني على الحديث بأنّه صحيح.

وبالذات كلمة (الله) بمقدار ما نجده بهذه الصورة المتكرّرة والمتميِّزة هنا[١].

ثانياً: كذلك قد لا نجد في الزيارات كلّها بياناً للصفات المثلى لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيان فضائلهم كما في هذه الزيارة الشريفة، وهذه المعادلة بيَّنها أئمّة الهدى عليهم السلام بصراحة حيث قالوا: «**اجْعَلُوا لَنَا رَبّاً نَؤُوبُ إِلَيْهِ، وَقُولُوا فِينَا مَا شِئْتُمْ**»[٢].

فنحن نحارب الأفكار الشركية التي تؤلِّه البشر، ومنها الأفكار التي تدعو إلى تأليه الأئمّة الأطهار عليهم السلام، ولكن في نفس الوقت لا نَنْتقِص من مقام أهل البيت عليهم السلام، فهم في أعلى درجات العبودية، وفي أسمى درجات الإيمان والأخلاق وسائر الصفات المثلى، وكلّها -حسب ما نفهمها- ناشئة من العبودية لله، والتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى.

الزيارة الجامعة

هذه الزيارة الشريفة تنقسم إلى أقسام متعدّدة، فالإنسان المؤمن حينما يقف عند باب من أبواب المشاهد المقدسة للأئمّة عليهم السلام ويستأذن بالدخول، يقف ويشهد الشهادتين فيقول:

«**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

---

(١) تكرّر لفظ الجلالة في هذه الزيارة الشريفة أكثر من خمسين مرة.

(٢) مختصر البصائر: ج١، ص١٨٧، روى الحسن بن موسى الخشّاب، عن إسماعيل بن مهران، عن عثمان بن جبلة، عن كامل التمّار قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقال لي: «**يَا كَامِلُ! اجْعَلُوا لَنَا رَبّاً نَؤُوبُ إِلَيْهِ، وَقُولُوا فِينَا مَا شِئْتُمْ**». قال: فقلت: نجعل لكم ربّا تؤوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ فاستوى جالسا وقال: «**مَا عَسَى أَنْ تَقُولُوا، وَاللهِ مَا خَرَجَ إِلَيْكُمْ مِنْ عِلْمِنَا إِلَّا أَلْفاً غَيْرَ مَعْطُوفَةٍ**».

فيدخل وهو على غُسل، فإذا دخل ورأى القبر تقول الرواية: قف وقُل: (**اَللهُ أَكْبَرُ**) ثلاثين مرّة، ثمّ امشِ قليلاً وعليك السّكينة والوقار وقارب بين خطاك، ثمّ قف وكبِّر الله عزّ وجلّ ثلاثين مرّة، ثمّ ادنُ من القبر وكبّر الله أربعين مرّة تمام مائة تكبيرة[١].

ويعلِّق المحدّث الكبير الشيخ عباس القمي رحمه الله فيقول: (**ولعلّ الوجه في الأمر بهذه التّكبيرات هو الاحتراز عمّا قد تُورثه أمثال هذه العبابر الواردة في الزّيارة من الغُلوّ، أو الغفلة عن عظمة الله سبحانه وتعالى، فالطّباع مائلة إلى الغلوّ، أو غير ذلك من الوجوه**)[٢].

والآن نبدأ بالزيارة ونقسِّمها إلى أقسام.

١ - صفات الأئمّة الأطهار عليهم السلام العامة

هذا القسم فيه مجمل صفات أهل البيت الأطهار عليهم السلام:

«**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ المَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الوَحْيِ**».

هذه الكلمات تدلُّ على الدور الأساسي لأهل البيت في تبليغ الرِّسالة، حيث إنّ (**بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة -أي مكان نزول الملائكة- ومهبط الوحي**) تصبّ في هذا الاتّجاه والمعنى، ثمّ نقول:

«**وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ**».

باعتبار أنّ الرسالة هي الرَّحمة الإلهية على البشر، وأهل البيت يمثّلون

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦٠٩.
(٢) مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي، ص ٦٣٩.

معدن رحمة الله فيهم، ونؤكّد على ذلك ونقول:

«وَخُزّانَ العِلْمِ».

لأنّ العلم فيهم، ومن بيوتهم خرج إلى الناس، وفي نفس الوقت علمهم كان قريناً للحلم:

«وَمُنْتَهَى الحِلْمِ».

ولأنَّ علمهم كان في مستوى رفيع جداً، فإنّ الحِلْم -الذي هو في الواقع يحدِّد العلم، أو يبيِّن كيفيَّة الاستفادة منه- كان في منتهى العظمة أيضاً، ثمّ نقول:

«وَأُصُولَ الكَرَمِ».

وهذه الصفة تتصل بالإيمان، فبما أنّ إيمانهم في أعلى الدرجات فهم يشكّلون أصول الكرم والجود والعطاء، ولذلك جعلهم الله زعماء وقادة لكلّ الناس:

«وَقَادَةَ الأُمَمِ».

فالقيادة هِبَة وعَطِية من الربّ سبحانه وتعالى، وكما أنزل اللهُ الرسالة والوحي في بيوتهم، كذلك وَهَبهم وأعطاهم قيادة الشعوب والناس، ولا يجوز لأحد أن يتقدَّم عليهم لأنّهم:

«وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ، وَعَنَاصِرَ الأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ العِبَادِ، وَأَرْكَانَ البِلَادِ، وَأَبْوَابَ الإِيمَانِ».

فهم أولياء النعم كلّها، وساسة البلاد. وكان اهتمامهم بتربية العباد وتهذيبهم، لأنّهم القيادات الحقيقية للأمم، والأئمّة هم أركان البلاد لأنّهم الذين يحفظونها، ولولاهم لساخت بأهلها، وهم أبواب الإيمان حيث إنّهم

يُذكِّرون الناس بحقائق الإيمان ليدخلوا في دين الله.

«وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ».

حيث جعلهم ربّنا سبحانه وتعالى أمناءه على كتابه ووحيه، وحمَّلهم علمه.

«وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

هذه مجمل صفات أهل البيت عليهم السلام تحدّثنا عنها بإجمال، إذ يطول الوقوف عليها إن أردنا تفصيل الكلام فيها.

٢- دور أئمّة أهل البيت عليهم السلام

في القسم الثاني نقرأ بياناً لدور أهل البيت عليهم السلام في نشر الهدى بين البشر والشعوب:

«السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى، وَذَوِي النُّهَى، وَأُولِي الحِجَى، وَكَهْفِ الوَرَى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَالمَثَلِ الأَعْلَى، وَالدَّعْوَةِ الحُسْنَى، وَحُجَجِ اللهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأُولَى، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

هذا هو الدور التربوي والتعليمي لهم، فهم الوسيلة المثلى لانتشار فضل الله على العباد، لأنّهم أئمّة للهداية كلّها، ومصابيح نور تكشف الظلمات، وأعلام عالية للتقى والصلاح. إنّهم من ذوي العقول الكاملة، وهم الكهف الذي يلتجئ إليه الناس في الأزمات والحاجات، إذ إنّهم ورثة الأنبياء والرسل الكرام، وهم المثل الأعلى في الخَلق والخُلق، ولهم الدعوة الربانية، والحجّة على البرية في الدنيا والآخرة بما أعطاهم الله سبحانه وتعالى، واستودعهم دينه ورسالته وأمرهم بتبليغها للناس.

وهكذا نواصل السلام عليهم بالقول:

«السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللهِ، وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

فمَنْ أراد أن يعرف أهل البيت عليهم السلام عليه أن يعرفهم بهذه المعرفة الإيمانية، لأنّهم المكرمون الذين جعلهم الله محلاً لمعرفته، ومسكناً دائماً ومستقراً لبركته، ومعادن وأصولاً لحكمته، واستودعهم سرّه، وأعطاهم كتابه وحمَّلهم تفسيره وتأويله كاملاً غير منقوص، لأنّهم أوصياء رسول الله ﷺ وذريّته الطاهرة.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: **«بِنَا عُبِدَ اللهُ، وَبِنَا عُرِفَ اللهُ، وَبِنَا وُحِّدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمُحَمَّدٌ حِجَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»**[1].

ويقول الامام الصادق عليه السلام: **«نَحْنُ حُجَّةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ، وَشُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخُزَّانُهُ عَلَى عِلْمِهِ، وَوَجْهُهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، وَعَيْنُهُ فِي بَرِيَّتِهِ، وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ، وَقَلْبُهُ الوَاعِي، وَبَابُهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَنَحْنُ العَامِلُونَ بِأَمْرِهِ، وَالدَّاعُونَ إِلَى سَبِيلِهِ، بِنَا عُرِفَ اللهُ، وَبِنَا عُبِدَ اللهُ، نَحْنُ الأَدِلَّاءُ عَلَى اللهِ، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللهُ»**[2].

٣- المَثَلُ الأعلى في الخلق

يؤكّد القسم الثالث على أنَّ الأئمة عليهم السلام هم المَثَلُ الأعلى في الدَّعوة إلى الله والدَّلالة على مرضاته، كما أنّهم كانوا المَثَل الأعلى في محبّة الله وتوحيده:

---

(١) الكافي، ج١، ص١٤٥.

(٢) التوحيد (للصدوق)، ص١٥٢.

«السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ، وَالأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ، وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللهِ».

أي: الثابتين عليه، لأنّهم لا يتجاوزون أمر الله في شدَّة أو رخاء، ولا في نعمة أو ضرَّاء، ولا يتخلون عن أوامر الله سبحانه في أيّ ظرف من الظروف.

«وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ، وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ».

وبما أنّهم تامّون في المحبة، فهم مخلصون خالصون في التوحيد، ومسارعون لإظهار وتبليغ أوامر الله ونواهيه كلّها بما يشمل الإظهار العملي والقولي.

«وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ؛ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

فهم يشتركون مع الملائكة الكرام في هذه الصفة العظيمة؛ بأنّهم مقيَّدون تماماً بما يأمر الله سبحانه وتعالى دون أيّ زيادة أو نقصان، فلا يسبقون ولا يقصّرون، وهم يعملون بأمر الله ولا يفترون.

٤- الإيمان بالأئمّة الكرام عليهم السلام

وفي هذه الفقرة تشير الزيارة إلى دورنا وما يرتبط به في قبول ولاية الأئمّة، فنسلِّم عليهم ونشهد بولايتهم وقيادتهم علينا:

«السَّلامُ عَلَى الأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ، وَالقَادَةِ الْهُدَاةِ، وَالسَّادَةِ الوُلَاةِ، وَالذَّادَةِ الْحُمَاةِ».

فهم السادة والقادة والحماة المدافعون عن الإيمان والمؤمنين، فيحفظون مَنْ يلوذ بهم مِن المؤمنين.

«وَأَهْلِ الذِّكْرِ، وَأُولِي الأَمْرِ».

وكلمة (**أهل الذكر**) إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١]، والذِّكر هو القرآن الكريم وهم أهله، وذلك في قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾**[٢] وقوله: **﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ﴾**[٣] وقوله: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[٤].

وكذلك الرسول العظيم ﷺ هو ذِكْرٌ مُرسَلٌ من الله تعالى، وهم أهله أيضاً، حيث يقول الله تعالى: **﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾**[٥].

ومن الطبيعي للأمّة أن تلجأ إلى أهل البيت الأطهار الأبرار عليهم السلام في حلّ معضلاتها الفكرية والعلمية والإيمانية كما أمرهم الله تعالى، لا أن يلجؤوا إلى اليهود والنصارى كما يلجأ بعضهم، لأنّ أولئك سيَدْعون إلى دينهم المحرَّف، ولا أقل المنسوخ بديننا وشريعتنا الغرَّاء الخاتمة.

«وَبَقِيَّةِ اللهِ».

فهم بقية الله الباقية التي لا تخلو الأرض منهم، ولو خلت منهم لساخت بأهلها، لأنّهم حجج الله، ولا تخلو الأرض من حجّة لله قائم مشهور، أو غائب مستور.

«وَخِيَرَتِهِ».

الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى على علم على العالمين.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٥) سورة الطلاق، الآية: ١٠-١١.

«وَحِزْبِهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ».

فهم حزب الله الغالب.

أما كلمة (العَيبة) فلها معانٍ كثيرة منها: الصندوق والمستودع وموضع السرِّ، فأهل البيت عليهم السلام هم مستودَع علم الله، من هنا ورد عنهم عليهم السلام: «نَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ»(١).

«وَحُجَّتِهِ، وَصِرَاطِهِ، وَنُورِهِ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

فالله تعالى جعلهم حجّته على خلقه، وصراطه المستقيم لعباده، ونوره الوضّاء لهذه الحياة، وذلك بما أعطاهم من فضل.

٥- شهادتنا لهم عليهم السلام

وهنا تتحدّث الزيارة عن قناعتنا وإيماننا بالله وبالرسول وبالأئمّة عليهم السلام. والإيمان بالنبيّ والأئمّة هو من صلب الإيمان بالله والشهادة بتوحيده سبحانه وتعالى:

«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا شَهِدَ اللهُ لِنَفْسِهِ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأُولُو العِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ».

كما أنّ شهادتنا وحبّنا لأهل البيت عليهم السلام هما من صلب شهادتنا وحبّنا للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) معاني الأخبار، ص٣٥: روي عن الامام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ حُجَّتِهِ حِجَابٌ، فَلَا للهِ دُونَ حُجَّتِهِ سِتْرٌ، نَحْنُ أَبْوَابُ اللهِ، وَنَحْنُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، وَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَنَحْنُ تَرَاجِمَةُ وَحْيِهِ، وَنَحْنُ أَرْكَانُ تَوْحِيدِهِ، وَنَحْنُ مَوْضِعُ سِرِّهِ».

«وَأَشْهَدُ انَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى أَرْسَلَهُ ﴿بِالْهُدىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾».

وبعد هاتين الشهادتين الأساسيتين تأتي الشهادة الثالثة لبيان مقام الأئمّة الأطهار عليهم السلام:

«وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ، المَهْدِيُّونَ، المَعْصُومُونَ، المُكَرَّمُونَ، المُقَرَّبُونَ، المُتَّقُونَ، الصَّادِقُونَ، المُصْطَفَوْنَ».

في الحقيقة إنّ اجتماع كلّ هذه الصفات في إنسان هو بحدّ ذاته معجزة، ولذا هي لم تجتمع إلّا في أئمّة المسلمين من أهل بيت رسول الله الطاهرين عليهم السلام.

٦- جهد الأئمّة عليهم السلام وجهادهم

يسلِّط القسم السادس الضوء على أنَّ من صفات أهل البيت عليهم السلام أنّهم مطيعون لله، وقوّامون بأمره، والقوّام هو من يكون كثير القيام، الذي يقوم بشكل دائم ومستمر بالعمل والجهاد من أجل تنفيذ إرادة الله وإجراء أوامره سبحانه وتعالى، ولذا فهم الفائزون بكرامته في هذه الدنيا:

«المُطِيعُونَ للهَّ، القَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ، العَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ، الفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ، اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ».

فالله أعلم أين يضع رسالته، حيث اصطفاهم بعلمه لجريان أمره.

«وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ».

أي رضيهم لما هو غيب عن الناس، والله سبحانه وتعالى أعطاهم ذلك لأنّهم أُمناء، فالله تعالى قد استأثر بالغيب وإنّما يمنح علم الغيب لَمَنْ ارتضى

من عباده[١].

«وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ».

فأسرار الربّ موجودة عندهم عليهم السلام.

«وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ».

فالله اجتباهم واختارهم وأعزَّهم بالهدى، لأنَّ الله سبحانه وتعالى يعزُّ أولياءه الذين اهتدوا لهداه ودعو الناس وهدوهم إليه، وذلك بما أعطاهم من البراهين:

«وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ».

فخصَّهم الله بالبرهان القاطع الذي لا يرقى إليه شك.

«وَانْتَجَبَكُمْ بِنُورِهِ».

أي جعلكم مشكاة لنوره، كما في سورة النور المباركة.

«وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ».

ولعل الرُّوح هنا إشارة إلى روح القدس الذي أيَّد الله بها الأنبياء والأولياء، فعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾[٢] قال: **«خَلْقٌ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَهُوَ مَعَ الأَئِمَّةِ، وَهُوَ مِنَ المَلَكُوتِ»**[٣].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىَ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىَ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾**. (سورة الجن، الآية: ٢٦-٢٧).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) الكافي، ج١، ص، ٢٧٣.

«وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِهِ، وَأَنْصَاراً لِدِينِهِ، وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ، وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِهِ».

فرضيهم الله وجعلهم خلفاءه في هذه الأرض، وحججه على البرية جميعاً، فمَنْ أراد سرّ الله سبحانه وتعالى فليذهب إليهم، ومَنْ أراد عِلْم الله فهم خزنة علمه، ومَنْ أراد الحكمة فهم مستودع الحكمة الربانية، فليذهب إليهم الناس ويستفيدوا منهم عليهم السلام.

«وَتَرَاجِمَةً لِوَحْيِهِ».

فهم الذين يترجمون الوحي، ولعلّ كلمة الترجمة تعني هنا التوضيح والتفسير والتبيين.

«وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِهِ».

والأركان هي الأصول، لأنّهم هم الذين دافعوا عن توحيد الربّ، أو هم الذين بيَّنوا أبعاد التوحيد للناس، وكلّ ذلك صحيح بالنسبة إليهم.

«وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ».

أي هم القادة على الخلق.

«وَأَعْلَاماً لِعِبَادِهِ».

فإذا ضلَّ الناسُ الطريق فإنَّ أهل البيت عليهم السلام يهدونهم إلى الطريق السليم والصراط المستقيم، لأنّهم أعلام لهداية العباد.

«وَمَنَاراً فِي بِلَادِهِ».

إنّهم منارات عالية يشعُّون نوراً في البلاد ليهدوا العباد من الضلال.

«وَأَدِلَّاءَ عَلَى صِرَاطِهِ».

فهم يدلّون الناس على صراط نجاتهم وخلاصهم في حياتهم.

٧- نِعَم الله على الأئمّة عليهم السلام

والى جانب هذه الصفات المثلى فإنَّ الزيارة المباركة تبيّن جوانب أخرى من شخصياتهم، وهي جوانب نعمة الله عليهم في أنّه:

«عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُمْ مِنَ الفِتَنِ، وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً».

وهي إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾. والأئمّة المعصومون قاموا بدور عظيم في شكر هذه النِّعم الكثيرة والجزيلة التي حَبَاهم الله بها، حيث نقول:

«فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ، وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ».

ومعنى مجَّدتم كرمه أي أنّكم -أهل البيت- قد جسَّدتم وأظهرتم الكرامة الإلهية، بتعظيم جلال الله وتكبير شأنه في العباد.

«وَأَدْمَنْتُمْ ذِكْرَهُ، وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ».

وإدمان الذِّكر مداومته وتكراره، وأمّا الميثاق فهو الذي كان بين الربّ وعباده في عالم الذرّ، حيث إنّهم شهدوا على أنفسهم بالتوحيد[1]، والأئمّة أكّدوا هذا الميثاق، ولعلّ الميثاق لم يكن فقط للتوحيد، وإنّما في فروع التوحيد أيضاً.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٧٢).

«وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ».

أي عملتم بطاعته بصورة كاملة وتامّة، بمقتضى ذلك العقد الميثاق.

«وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَبَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ».

فأهل البيت عليهم السلام نصحوا الناس، ودعو إلى سبيل الله، وبذلوا أنفسهم وما يملكون في سبيله، كلّ ذلك لأجل مرضاة الربّ سبحانه.

«وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ، وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ المُنْكَرِ، وَجَاهَدْتُمْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ».

لا أحد في الدنيا صبر على الأذى والمحن كما صبر أهل البيت عليهم السلام، كما أنّه لا أحد في البشر عبد الله كعبادتهم في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولعلّ كلمة **«حَقَّ جِهَادِهِ»** تعني أنّكم جاهدتم في الله بما أوتيتم من قوّة ومن طاقة، في السرّ والعلن.

«حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ».

أي جعلتم دعوته معلنة في العالمين.

«وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ، وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ، وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ، وَصِرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ القَضَاءَ، وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى».

فهذه جملة أبعاد الشكر عند الأئمّة للربّ سبحانه وتعالى.

٨- واجبنا تجاه الأئمّة عليهم السلام

وأمّا بالنسبة إلينا فعلينا أن نلتزم بنهجهم، ونقتدي بهم، ونتَّبع خُطاهم، ومن هنا تقول الزيارة:

«فَالرَّاغِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ».

هناك ثلاثة مسارات في هذه الحياة تسلكها فئات ثلاث وهم:

الأوّل: (الراغبون عن الحق) وهم الذين يرغبون عن الأئمّة إلى غيرهم، فإنّهم يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من القوس، أي يخرجون من حدود الدِّين.

الثاني: (اللاحقون بأهل البيت) وهم الملازمون لأئمّتهم واللاحقون بهم في حياتهم كلّها.

الثالث: (المقصِّرون) وهم المقصِّرون في حقِّهم، وهؤلاء زاهقون هالكون بسبب تقصيرهم.

«وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ».

فالحق معهم في كلّ حالاتهم، وهذا ما قاله رسول الله ﷺ في حقّ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: **«عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ»**[1]، والأئمّة جميعاً على ذات النهج، والحق فيهم، أي أنّ كلّ أبعاد الحق تتجلّى فيهم، ويُؤخذ الحق مِنهم، وإليهم يعود الحق في كلّ زمان ومكان وفي كلّ شيء.

«وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ، وَمِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ، وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ».

فهم أهل الحق ومعدنه بصدق، لأنّهم ورثة الأنبياء والمرسلين، وقد قال

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، ج٢، ص٥٩.

تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[١]، وجاء في أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الإمام المبين هو الإمام علي عليه السلام، وأهل بيته منه[٢].

«وَفَصْلُ الخِطَابِ عِنْدَكُمْ».

فإذا تحدّثوا بكلمة فإنّها حاسمة، وتقضي على الخلاف مطلقاً.

«وَآيَاتُ اللهِ لَدَيْكُمْ، وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ، وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ، وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ. مَنْ وَالاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللهَ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللهِ».

ربنا سبحانه وتعالى جعل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام حججه على الناس، فإذا أراد الناس أن يلتزموا بالحق الصحيح فعليهم أن يلتزموا بهم، ويأخذوا بأقوالهم، ويقتدوا بأفعالهم.

«أَنْتُمُ الصِّرَاطُ الأَقْوَمُ، وَشُهَدَاءُ دَارِ الفَنَاءِ».

أي أنتم القادة والسادة في الدنيا.

«وَشُفَعَاءُ دَارِ البَقَاءِ».

وأنتم تشفعون عند الله سبحانه وتعالى في دار البقاء والخلود في يوم القيامة.

«وَالرَّحْمَةُ المَوْصُولَةُ، وَالآيَةُ المَخْزُونَةُ، وَالأَمَانَةُ المَحْفُوظَةُ، وَالبَابُ المُبْتَلَى بِهِ

---

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

(٢) معاني الأخبار، ج١، ص٩٥، روي عن الباقر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ قام أبو بكر وعمر من مجلسهما وقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: **لَا**. قالا: فهو الإنجيل؟ قال: **لَا**. قالا: فهو القرآن؟ قال: **لَا**. قال: فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«هُوَ هَذَا، إِنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي أَحْصَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ»**.

النَّاسُ».

إشارة إلى باب حطّة، حيث إنَّ الله ابتلى بني إسرائيل به، وهنا ابتلى الله الأمّة بأهل البيت عليهم السلام أي مَنْ دخل إلى رحاب رضوان الله مِن الباب الذي حدّده ربّنا -وهو ولاية أهل البيت- تكون عاقبته النجاة والفوز بالجنّة والرّضوان.

«مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ».

لماذا؟ لأنّهم عملوا بكلّ ما أراد الله منهم فأصبحوا القدوة والمعيار.

«إِلَى اللهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ».

هذه الكلمات والصفات لأئمّة أهل البيت عليهم السلام تبيِّن عملهم ورسالتهم في هذه الحياة.

٩- مسؤولية الأمّة الإسلامية

تقدَّم بيان مسؤولية مكانة الأئمّة عليهم السلام في حياة الأمّة، ولكن ما هي مسؤوليتنا تجاههم؟ في الفقرات التالية بيانٌ لهذه المسؤولية، حيث نقول في زيارتنا:

«سَعِدَ مَنْ وَالاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ، وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ، وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ الَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ».

فمسؤوليتنا الأولى هي ولايتهم، واجتناب أعدائهم أو من جحد فضلهم، والتمسّك بهم، واللجوء إليهم، والاعتصام بهم، لأنّ مَنْ والاهم والتزم بنهجهم سعد في الدنيا والآخرة، وهلك من عاداهم، وخاب سعي مَنْ

جحدهم أو فارقهم. ثمّ نقول:

«مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالجَنَّةُ مَأْوَاهُ».

لأنّهم الأدلّاء على الحق، وأولياء الله وحججه.

«وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ».

لأنّ مَنْ خالفهم عصى الله وخالف أوامره وأحكامه.

«وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ، وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الجَحِيمِ».

هذه الكلمات الشريفة هي ميزان لمعرفة المؤمن من غيره من البشر.

١٠ - الشهادة بالسابقية لهم عليهم السلام

ثمّ في الزيارة شهادة أخرى لهم، وهي الشهادة بسابقية أهل البيت في المكارم كلّها:

«أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ».

ثمّ نقرأ ما يؤكّد على أنَّ أهل البيت عليهم السلام وِحدة واحدة، ولا يمكن أن نفرّق بين أحدٍ منهم، فهم في كلّ مراحلهم متّحدون في العنصر، فنقول:

«وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، طَابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ».

فالأرواح والنور والطينة التي خُلِقت منها الأجساد الشريفة هي واحدة من حيث الطيب والطهارة. ثمّ نبيِّن فضيلة خصَّهم الله بها، وهي أنّه سبحانه قد خلقهم أنواراً من قبل أن يخلق غيرهم:

«خَلَقَكُمُ اللهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ، حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَجَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ، وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طِيباً لِخَلْقِنَا، وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا، وَتَزْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا، فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ، وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ».

فأيّ كرامة وفضل ونور خصَّهم الله بها؟ وأيّ كرامة للمؤمنين بهم الذين يتطهّرون بولايتهم ويتشرّفون بالصلاة عليهم؟

ثمّ في الزيارة نبيِّن مدى الدرجة الرفيعة والمقام العظيم الذي جعله الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام، وعرَّفهم وعرَّف مقامهم لكلّ الخلق من الملائكة والأنبياء وكلّ فئات البشر من الصالحين والطالحين:

«فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ، وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ، وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ، حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ، وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ، إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ، وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ، وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ».

هذا هو مقامهم الرفيع الذي كان لهم عند الله، وفي سابق علمه وحكمته وفضله، ولا يمكن لبشر مخلوق غيرهم أن يتمنّى الوصول إلى هذا المقام.

وبعد هذه الشهادة المفعمة بروح الولاية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، نقرأ فقرات متعدّدة تدلُّ على مسؤوليتنا وواجبنا بأن نبقى متمسّكين بهم إلى أبعد

الحدود، فنقول:

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي».

هذا هو أرفع درجات الولاء والإخلاص، حيث يفدي الإنسان بكلّ هؤلاء الأعزاء عليه لمن هم أعزُّ وأغلى منهم على قلبه.

ثمّ نُشهِد الله على مسؤوليتنا العظيمة وموقفنا الولائي منهم وممّن يواليهم أو يعاديهم:

«أُشْهِدُ اللهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ، مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ، مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ، مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ، مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ، مُطِيعٌ لَكُمْ، عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ، مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ، مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ، مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ، مُعْتَرِفٌ بِكُمْ، وَمُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ».

إنّها شهادة ثقيلة هذه التي يؤدّيها الإنسان المؤمن لأهل البيت عليهم السلام من حيث الإيمان بهم والتمسّك بنهجهم.

١١- الولاء في حياة المؤمن

ثمّ تبيّن الزيارة الانعكاسات العملية لهذا الولاء في حياة المؤمن:

«آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ، عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ، مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ، زَائِرٌ لَكُمْ، لَائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ، مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ، وَمُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي، مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ، وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ، وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ، وَمُسَلِّمٌ

فِيهِ مَعَكُمْ، وَقَلْبِي لَكُمْ سِلْمٌ، وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللهُ دِينَهُ بِكُمْ، وَيَرُدَّكُمْ فِي أَيَّامِهِ، وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ، وَيُمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ».

ومع هذه القائمة الميمونة المباركة الطويلة من واجباتنا اتجاههم، نحن نسعى بأن نكون من الموالين حقاً لأهل البيت عليهم السلام ومن شروط الموالاة:

أوّلاً: ليست الموالاة لهم فقط بل الموالاة لأوليائهم أيضاً.

ثانياً: بغض أعدائهم، لأنّ الإنسان الموالي سِلْمٌ لمن سالمهم، وحربٌ لمن حاربهم، ومواقفه تجاه الآخرين مُستَمَدَّة من ولايته النقية الخالصة، ومن قناعاته التي يجب أن تكون كاملة، بحيث يكون محقّقاً لما حققوا، ومبطلاً لما أبطلوا، فلا يشكّ في كلامهم الذي هو نور، ولا يترك كلمة واحدة من كلماتهم.

ثالثاً: من حيث العمل يطيعهم، ويعترف بحقّهم، ويقرّ بفضلهم، ويحتمل علمهم، أي يستفيد ويستزيد من علمهم في كلّ مجالات حياته.

رابعاً: من حيث الجانب الروحي يحتجب بذمتهم، أي يجعلهم وسيلة بينه وبين الله سبحانه وتعالى، ويعترف بهم.

خامساً: ومن حيث الإيمان بالمستقبل تراه يؤمن بإيابهم، ويصدِّق برجعتهم، وينتظر أمرهم، ويرتقب دولتهم في آخر الزمان.

سادساً: ومن حيث العمل أيضاً تراه يأخذ بقولهم، ويعمل بأمرهم، ويستجير بهم، ويزورهم ويعوذ بهم، ويلوذ بقبورهم، ويستشفع إلى الله عزّ وجلّ بهم، لأنّهم الوسيلة للتقرُّب إلى الله، ويقدّمهم أمام طلباته، ويستشفع بهم في دعواته، ويصلّي عليهم في خلواته، فهم أولياؤه في كلّ أعماله اليومية، يستعين بالله، ثمّ يتوسل بهم إلى الله في كلّ أحواله وأموره؛ لأنّه مؤمن بسرِّهم

وعلانيتهم، وشاهدهم وغائبهم، وأولهم وآخرهم، وأنّه يفوِّض الأمر إليهم كلّه.

كلّ هذه الصفات المثلى في الموالي لأهل البيت عليهم السلام بسبب أنّه مسلِّم لهم قلبه، ورأيه متبع لرأيهم، ونصرته لله مُعدَّة، وهو ينتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي يُحيي الله سبحانه وتعالى دينه بهم، ويردّه في أيامهم، ويُظهره في دولتهم، وعندما يُمكّنهم في أرضه، ومن هنا نقول لهم:

«فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ، آمَنْتُ بِكُمْ، وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ، وَبَرِئْتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ».

١٢ - لماذا عقيدة البراءة؟

في سياق الزيارة الجامعة الكبيرة نبيِّن مدى تولّينا ومدى تبرّينا، فنعلن أنّنا نوالي أئمّة الهدى عليهم السلام ونوالي أولياءَهم، ونتبرَّأ من أعدائهم، وهنا بصيرة نقدِّم بها الحديث عن البراءة وضرورتها وأهميتها.

توجد في فطرة البشر نزعة للتولِّي والتَّبري، لأنّه في هذا الخلق مَنْ ينبغي أن نواليهم، وفيه مَنْ ينبغي أن نعاديهم، وأيضاً ما ينبغي أن نستقطبه ونقرِّبه لأنفسنا، وما ينبغي أن نواجه خطره لنبعده عنا، وفي هذه الزيارة الشريفة -كما في زيارات أخرى- نحن الموالون لأهل البيت عليهم السلام نحدّد مَنْ نوالي، ومَنْ نعادي.

وبتعبير آخر نحن نحسم الموقف فيما يتّصل بالموالاة والبراءة حتّى لا تختلط الأوراق علينا، وحتى لا نشتبه، ومع الأسف فإنَّ الكثير من الناس يوالون مَنْ لا ينبغي أن يوالوهم، ويعادون مَنْ لا ينبغي أن يعادوهم، وهذه تسبّب لهم أخطاراً كثيرة، ولذا نقول في الزيارة:

«بَرِئْتُ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَمِنَ الجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ، الجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ، وَالمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ، وَالغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ، الشَّاكِّينَ فِيكُمْ، المُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ، وَمِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُمْ، وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ، وَمِنَ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النّارِ».

هذه هي القائمة التي يجب أن نحتفظ بها من أجل أن نتبرَّأ منها، وحتى لو كانت هناك بعض المصالح المشتركة، أو بعض الأسباب الداعية إلى حبّ البعض بسبب أو بآخر، ولكن علينا أن نتبرّأ من أعداء الأئمّة، ومن الجبت والطاغوت. والطاغوت هم الظلمة، وأما الجبت هنا فهو ربما يكون بمعنى المنحرفين الذين قد لا نعرفهم بصورة واضحة، أي مَن كان منحرفاً في الخفاء وبشكل غير معلن. ثمّ نسأل الله أن يثبّتنا على هذا الطريق السوي، والنهج القويم:

«فَثَبَّتَنِي اللهُ أَبَداً مَا حَيِيتُ عَلَى مُوَالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ».

ندعو الله سبحانه وتعالى بذلك، لأنّ هناك خطراً عظيماً يُحدق بالإنسان، وهو الانحراف بعد الاستقامة، ربما بسبب الضغوط الخارجية، أو البعد عن روح الولاية وروح الإيمان، لذلك نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبّتنا على هذا الطريق، كما نسأله أن يثبّتنا على الاستقامة في طاعة أهل البيت الأطهار عليهم السلام التي هي طاعة لله وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يرزقنا شفاعتهم في يوم الجزاء:

«وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ، وَرَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ، وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ».

ثمّ ندعو الله سبحانه وتعالى بأن يجعلنا من الموالين حقاً، ولعلّ من صفات الموالين الحقيقيين هي هذه الصفة التي تذكرها الفقرة التالية:

«وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ».

أي يتبعكم خطوة فخطوة اتباع الفصيل أثر أمه.

«وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ، وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ، وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ، وَيَكُرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ، وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ، وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ، وَيُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُمْ، وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُمْ».

هذه الفقرات من الزيارة تشير إلى مدى عمق روح الانتظار عند المؤمن الشيعي، حيث إنّه ينتظر يوم الرجعة الكبرى، ويسأل الله أن يكون من الذين يعودون إلى الحياة، ويعيشون في كنف الدولة الإيمانية الخالصة، وتقرّ عينه برؤيتهم.

ثمّ نبيِّن مدى إخلاصنا لأهل البيت عليهم السلام ونقول:

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي»، نقول هذه الكلمات لأنّ المؤمن يقدِّم ولاءَه لأهل البيت عليهم السلام على مصالحه كلّها، وعلاقاته كلّها، لأنّ أهل البيت عليهم السلام هم وسيلتنا إلى الله:

«مَنْ أَرَادَ اللهَّ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ».

ثمّ نقول:

«مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ، وَلَا أَبْلُغُ مِنَ المَدْحِ كُنْهَكُمْ، وَمِنَ الوَصْفِ قَدْرَكُمْ».

١٣ - مكارم أهل البيت عليهم السلام

ونعود لنبيِّن بعض مكارم أهل البيت عليهم السلام فنقول:

«وَأَنْتُمْ نُورُ الأَخْيَارِ، وَهُدَاةُ الأَبْرَارِ».

فإنَّ خِيار البشر إذا أرادوا أن يهتدوا فإنّهم يهتدون بنور أهل البيت عليهم السلام، وإذا أراد الأبرار أن يقتدوا فإنّما يقتدون بأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّهم:

«حُجَجُ الجَبَّارِ، بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ».

فهم حجج الله على العباد، وبهم فتح الله الخيرات، وبهم يختم بالبركات، وما بينهما فبهم يُنفَّس الهم عن المهمومين، ويُكشف الضر عن المضرورين والمصابين والمنكوبين.

١٤- طأطأ كلّ شريف لشرفهم

مازال الحديث في الزيارة الجامعة عن عظمة ومقام أهل البيت الأطهار عليهم السلام، تلك المقامات التي ربما يجهلها البعض من الأمّة الإسلامية، وهم أهل بيت الوحي والإيمان، ولذا نقول:

«وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ، وَإِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ».

فميراث الأنبياء عندهم، والأنبياء خط واحد، وكلماتهم من عند مصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى، فعندهم المواريث لكلّ الرسالات السابقة، وإلى جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بُعث جبرائيل بالدِّين الخاتم.

«آتَاكُمُ اللهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ».

ربما دلّت هذه العبارة على أنّ الربّ سبحانه وتعالى فضَّلهم على سائر النبيّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين.

«طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ، وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ».

أي خضع وأقرَّ وأذعَنَ كلّ شريف لشرفهم، وذلَّ كل متكبِّر لطاعتهم.

«وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ».

لأنّ الفضل العظيم يفرض نفسه، بحيث لا يمكن لأحد أن يُنكره حتّى لو كان من الجبابرة، لأنّ كل شيء ذُلِّلَ لهم ولولايتهم.

«وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِكُمْ، وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُمْ. بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ، وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وَلَايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ».

ثمّ نؤكّد مرّة أخرى على مدى تفانينا وولايتنا لأهل البيت عليهم السلام:

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي».

وسبب ذلك أنّه بالرغم من أنّهم في الظاهر كالآخرين، أي ذكرهم في الذاكرين، إلّا أنّ الله فضَّلهم على الخلق أجمعين:

«ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ، وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الأَسْمَاءِ، وَأَجْسَادُكُمْ فِي الأَجْسَادِ، وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الأَرْوَاحِ، وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ، وَآثَارُكُمْ فِي الآثَارِ، وَقُبُورُكُمْ فِي القُبُورِ».

هذه العظمة، وهذا الفضل آتاه الله لأهل البيت عليهم السلام، فزادهم وزانهم وزيَّن الدنيا بهم وبحُسنهم وجمالهم:

«فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ، وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ، وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ، وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ. كَلَامُكُمْ نُورٌ، وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ».

فكلامهم نور الهدى، وفي أوامرهم الرُّشد والبلوغ في الكمال والرِّفعة.

«وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَى، وَفِعْلُكُمُ الخَيْرُ، وَعَادَتُكُمُ الإِحْسَانُ، وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ، وَشَأْنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ، وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ، وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ».

هذه الصفات واضحة جليَّة في أهل البيت عليهم السلام، ثمّ نذكر انعكاس هذه الصفات على المجتمعات البشرية:

«إِنْ ذُكِرَ الخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ».

فهم الخير كلّه في هذه الدنيا، فمن أوّله إلى نهايته هو مِنهم وببركتهم.

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ، وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ، وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللهُ مِنَ الذُّلِّ، وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الكُرُوبِ، وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرُفِ الهَلَكَاتِ وَمِنَ النَّارِ؟ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللهُ مَعَالِمَ دِينِنَا، وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا، وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الفُرْقَةُ».

حيث إنّ الفُرقة نتيجة الأهواء، وحينما يتجرَّد الإنسان عن الهوى، ويتمحَّض في التقوى، تتحوّل الفُرقة إلى ائتلاف، والعداوة إلى محبة.

«وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ المُفْتَرَضَةُ، وَلَكُمُ المَوَدَّةُ الوَاجِبَةُ، وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ، وَالمَقَامُ المَحْمُودُ، وَالمَقَامُ المَعْلُومُ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالجَاهُ العَظِيمُ، وَالشَّأْنُ الكَبِيرُ، وَالشَّفَاعَةُ المَقْبُولَةُ».

وبعد هذه الكلمات الرائعة، والصفات النورانية التي عدّدناها وذكرناها لأهل البيت الأطهار عليهم السلام، نرفع أدينا بالدعاء والضراعة إلى الله:

«رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ».

أي آمنّا بالله ربّاً، واتبعنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمرنا من ولاية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وأهل بيته المكرَّمين.

«فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».

فنسأله أن يكتب أسماءنا مع الشاهدين بالحق.

١٥- التوسّل والدعاء

«رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهّابُ، سُبْحانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً».

ثمّ نتوسل إلى كلِّ وليٍّ من أولياء الله الأئمّة المعصومين الذين نخصّهم في الزيارة التي نحن بحضرتها:

«يَا وَلِيَّ اللهِ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ».

فلا بدّ أن نتوسّل بكم إلى الله حتّى ترضوا عنا، ثمّ الله يرضى عنّا ويغفر لنا ذنوبنا وخطايانا.

«فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ، وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ، وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ، لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَكُنْتُمْ شُفَعَائِي».

إلّا ما طلبتم من الله أن يَهَبنا ذنوبنا وخطايانا بشفاعتكم.

«فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ، مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ».

ونكرّر هذه الحقيقة لأنّ ربّنا سبحانه أمرنا بأن نتوجَّه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليغفر لنا الله ذنوبنا، بعد أن نستغفر منها ويستغفر لنا الرسول، حيث يقول في كتابه:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]، ونحن في تصديق هذا الأمر الإلهي نذهب إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وهم نفس الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ونستشفع بهم إلى الله، ونستغفره من ذنوبنا عندهم، وهم -إن شاء الله- يستغفرون لنا ويستوهبون ذنوبنا، ثمّ نتوجَّه إلى الله سبحانه وتعالى ونقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الأَخْيَارِ الأَئِمَّةِ الأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي».

فإيماننا بالأئمّة كإيماننا بالنبيّ وبكتاب الله القرآن الكريم، وكلّه فرع لإيماننا بالله سبحانه وتعالى، ونحن نجد أقرب الشُّفعاء إلى الله هم رسول الله محمّد والأئمّة من أهل بيته، ولذلك نتوجَّه إلى الله ونسأله بحقهم:

«فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ العَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ، وَفِي زُمْرَةِ المَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ، إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

فمعرفة الحق العظيم يجعلنا من العارفين بحقهم، والمرحومين بشفاعتهم، والويل لَمَنْ كان شفعاؤُه خصماءَه.

وفي ختام هذه الزيارة الشريفة علينا أن نعرف أنّ هذه الزيارة وأمثالها تتضمّن الكثير من المعاني السامية، والكمالات العظيمة، فإذا قرأها الإنسان بتكرار انعكست هذه المعاني وتلك الكمالات على نفسه وسلوكه، فيتَّبع النبي وأهل بيته عليهم السلام في تلك الصفات الحسنة الرفيعة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

نسأل الله أن يرزقنا منها، وصلّى الله على محمّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

*****

بصائر وفوائد

١. من الكنوز المعرفية زيارة الجامعة الكبيرة، وما يُميِّزها عن غيرها أنّه قد لا نجد في الزيارات الأخرى تكرّر اسم (الله) سبحانه وتعالى، كما نجده في هذه الصورة المتكرّرة والمتميِّزة في هذه الزيارة.

٢. في فطرة البشر نزعة للتولِّي والتَّبري، لأنّه في هذا الخلق مَنْ ينبغي أن نواليهم، وفيه مَنْ ينبغي أن نعاديهم، كما هناك ما ينبغي أن نستقطبه ونقرِّبه لأنفسنا، وما ينبغي أن نواجه خطره لنبعده عنا، وفي هذه الزيارة الشريفة كما في زيارات أخرى نحن الموالين لأهل البيت عليهم السلام نحدِّد مَنْ نوالي ومَنْ نعادي.

٣. الإنسان الموالي لأهل البيت سِلْمٌ لمن سالمهم، وحربٌ لمن حاربهم، وموقفه تجاه الآخرين مُسْتَمَدٌّ من ولايته النقية الخالصة، ومن قناعته التي يجب أن تكون قناعة كاملة، بحيث يكون محقّقاً لما حقّقوا، ومبطلاً لما أبطلوا، فلا يشكّ في كلماتهم، ولا يترك ملاحظة واحد من أوامرهم.

٤. إذا كرّر الإنسان ذِكر المعاني العظيمة في الزيارة الجامعة، وقرأها باستمرار، فإنّها يمكن أن تنعكس على روحه ونفسه فيتخلّق بأخلاقهم الفاضلة ويسير على هداهم.

ملحق



تأملات
في زيارة العباس عليه السلام





(14)

تأملات في زيارة العباس عليه السلام

قمّة الوفاء والنصيحة

المقدمة

كلّما تقف على لوحة طبيعية جذابة تزداد إعجاباً بها وحبّاً لها. أرأيت لو وقفت على شاطئٍ إبّان الغروب، حيث تتوالى الألوان الزاهية المختلفة على الأفق عند مغرب الشمس، أرأيت كيف تنجذب إلى تلك المناظر؟ ولو كرّرت النظرة عدة مرات فإنّك لن تملّ منها، بل تزداد إعجاباً بها.

كذلك حياة العظماء الرساليين الذين اصطبغت بصبغة الإيمان، فإنّ جمالها وبهاءها وروعتها لن تحدد، فكلّما أمعنت النظر وتأمّلت، استوعبت من جمالها وروعتها المزيد، ولا ينقص من ذلك شيء، بل إنّه يزداد.

سيّدنا العباس بن علي عليه السلام هو من تلك الشخصيات الفذّة التي انبهرت بحياته الجميلة عقولُ المؤمنين، بل عقولُ البشرية جميعاً. صحيح أنَّ معلوماتنا عن أبي الفضل العباس عليه السلام ليست وافية، ولكنّ تلك اللحظات القليلة التي تجلّت لنا من حياة أبي الفضل العباس عليه السلام، وبالذات في واقعة الطف، جعلتنا نقترب من بحر هذه الشخصية، وكلٌّ منّا يغترف من جمالها وروعتها غرفةً بقدره وحسب استيعابه.

وحقاً سيبقى أبو الفضل العباس أباً للفضل، ومعلّماً للخلق الرفيع، ومعلّماً للفداء والإباء، ومعلّماً للعطاء الثر الذي لا ينقطع، ومعلّماً للبطولة النادرة.

ومن هنا ندب الشرع المقدس المؤمنين إلى زيارته عليه السلام والتحدّث معه بصورة مباشرة، وذلك بالسلام عليه، وقد كتبتُ أوراقاً معدودات حول شخصية سيّدي العباس عليه السلام وفاءً لنذرٍ نذرته، وها أنا الآن على مشارف الحديث عنه مرّة أخرى، ولكن بصورة أخرى، لنذرٍ أيضاً نذرته وأُؤدّيه إن شاء الله.

أمّا تلك الصورة الأخرى، فهي الحديث عن العباس عليه السلام عبر التأمّل في زيارته المأثورة، ولأنّ الكثير الكثير منّا يزور العباس عليه السلام بهذه الزيارة، فما أجدر بنا أن نتأمّل بها لنزداد معرفةً به وحبّاً له واقتداءً بشخصيّته الفذة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقني لذلك، وأن يتقبّل هذا القليل بفضله وجوده، وأن يجعل العباس عليه السلام شفيعاً لنا في يومٍ لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم.

محمد تقي المدرسي

١٧ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ

مدينة مشهد المشرّفة

تأمّلات في

زيارة العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام

جاء في كامل الزيارات بأسانيد معتبرة عن أبي حمزة الثمالي قال:

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إذا أردت زيارة قبر العباس ابن علي عليه السلام وهو على شط الفرات بحذاء الحائر، فقف على باب السقيفة (**أي الروضة**) وقل:

«سَلامُ الله وَسَلامُ مَلائِكَتِهِ المُقَرَّبينَ، وَأَنْبيائِهِ المُرْسَلينَ، وَعِبادِهِ الصّالِحينَ، وَجَميعِ الشُّهَداءِ وَالصِّدّيقينَ، وَالزّاكِياتُ الطَّيِّباتُ فِيـما تَغْتَدي وَتَرُوحُ عَلَيْكَ يَابْنَ أَميرِ المُؤْمِنينَ».

سلام الله

هذه كلمة رائعة نسمعها من الإمام الصادق عليه السلام -وهو حجّة الله- في مطلع زيارة العباس عليه السلام، فالمطلع يبدأ بالسلام عليه، والسلام حينما يكون موجّهاً منك إلى أبي الفضل العباس فمعنى ذلك أنّ هناك صلةً قريبةً بينك وبينه؛ لأنّ أبا الفضل العباس عليه السلام -وهو من أبرز الشهداء وأعظمهم في التاريخ- حيٌّ عند الله يُرزق، وقد جاء في الآية الكريمة: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾.

وهكذا ينبغي لنا أن نقف عند أضرحة الشهداء ونسلّم عليهم، ولكن لماذا يبدأ السلام على العباس هكذا:

«سَلامُ اللهِ وَسَلامُ مَلائِكَتِهِ المُقَرَّبينَ»

هل نحن نسلّم على العباس وحدنا؟ كلا!

أبو الفضل العباس عليه السلام تسلّم عليه كلّ حقائق الوجود، ويسلّم الله سبحانه وتعالى عليه من فوق عرشه، وهو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام، فالله يُسلِّم على أبي الفضل العباس، لماذا؟

لأنّ الله سبحانه وتعالى قد سلَّم في كتابه الكريم على أنبيائه العظام، كأنْ قال: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[١]، ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[٢]، ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[٣]، ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾[٤]، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[٥]، ولأنّ أبا الفضل العباس عليه السلام مضى على طريق الأنبياء، فيشمله ذلك السلام.

سلام الملائكة

وكذلك سلام الملائكة، فقد صرّح القرآن الكريم بأنّ الله سبحانه وتعالى وملائكته يصلّون على المؤمنين، ولا ريب في أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام هو من أبرزهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٦].

ومعنى سلام الملائكة والأنبياء والعباد الصالحين والشهداء والصديقين على أبي الفضل العباس عليه السلام هو أنّ حياة أبي الفضل العباس كانت حياةً مطابقة كلّياً لتلك الأهداف والقِيَم التي كانت للأنبياء والصالحين من عباد

(١) سورة الصافات، الآية: ٧٩.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٩.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٨١.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

الله والشهداء والصديقين.

سلام الأرواح الطيبة

يبقى سؤال عن معنى: «**وَالزَّاكِياتُ الطَّيِّباتُ فِيـما تَغْتَدي وَتَرُوحُ**» فهي قد تعني: أنّ الأرواح الزاكية الطيبة كلّما ذهبت أو عادت فإنّها جميعاً تسلّم على أبي الفضل العباس.

وأنت أيّها المؤمن ستكون روحك ونفسك -إن شاء الله- من تلك الأرواح الطيّبة، ولذلك كلّما وقفتْ على ضريح أبي الفضل العباس سلّمتْ عليه وصدّقت بحياته.

وقد تعني العبارة في تفسير آخر: أنّ الصلوات الزاكيات الطيبات -إضافة إلى سلام الله وملائكته وأنبيائه- تغتدي وتروح على أبي الفضل العباس عليه السلام.

حركة الإنسان نحو الحق

ثمّ تتابع الزيارة وتقول:

«**أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْليمِ وَالتَّصْديقِ وَالوَفاءِ، وَالنَّصيحَةِ لِخَلَفِ النَّبِيِّ عليه السلام المُرْسَلِ، وَالسِّبْطِ المُنْتَجَبِ، وَالدَّليلِ العالِمِ، وَالوَصِيِّ المُبَلِّغِ، وَالمَظْلُومِ المُهْتَضَمِ**».

في هذه الرائعة من الزيارة نقرأ مراحل حركة الإنسان نحو الحق.

ففي المرحلة الأولى، عندما تستوعب النفس البشرية السليمة الحق، تسلِّم له، أي لا تردّه ولا تُنكره ولا تجحد به، وإنّما تقابل الحق بالتسليم.

وفي المرحلة الثانية، تُصدِّق به، أي تستوعب أبعاد الحق، وتعرف خفاياه، وتطّلع على المزيد من أسراره.

وفي المرحلة الثالثة يأتي الوفاء؛ أي تصدِّق النفس ما أوجب الحق عليها.

أمّا المرحلة الرابعة فالنصيحة؛ لأنّ الوفاء قد لا يكون بالمستوى المطلوب، أي قد يكون وفاءً محدوداً، ولكن النصيحة تعني الوفاء الكامل التام.

التسليم للسبط المنتجَب

وهكذا كان أبو الفضل العباس عليه السلام بالنسبة إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام، لا بصفته أخاً له، وإنّما بصفته امتداداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولأنَّ مسؤولية المؤمن التسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهذه الفريضة تنعكس أيضاً بالنسبة إلى خلف النبي ولامتداد النبي، لذلك نقرأ في الزيارة: «**لِخَلَفِ النَّبِي صلى الله عليه وآله وسلم الْمُرْسَلِ**».

لقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مرسلاً، وامتداده هو الإمام الحسين عليه السلام الذي كان إماماً، ولذلك كان يجب على العباس أن يقدّم له التسليم والتصديق والوفاء والنصيحة.

ثمّ كان الإمام الحسين عليه السلام سبطاً للنبيّ: «**وَالسِّبْطِ الْمُنْتَجَبِ**»، وقد انتجبه الله ليكون حجّةً على عباده.

«**وَالدَّلِيلِ العالِمِ، وَالوَصِيِّ الْمُبَلِّغِ**» كان الحسين عليه السلام دليلاً للجنّة، عالماً بالحقائق، فكان على أبي الفضل العباس التسليم له، والتصديق به، والوفاء لما يفرضه عليه، والنصيحة في الوفاء للوصيّ المبلّغ.

«**وَالمَظْلُومِ الْمُهْتَضَمِ**» وكان الإمام الحسين عليه السلام -بالإضافة إلى كلّ ذلك- مظلوماً مهتضماً، ممّا يعني أنَّ المؤمن أيضاً يرى قيمة للمظلوم باعتباره مظلوماً ومهتضماً فلا بدّ من الدفاع عنه.

ولذلك دافع أبو الفضل العباس عليه السلام عن أخيه بصفته حجّة الله، وبصفته امتداداً لرسول الله، وبصفته وصيّاً مبلّغاً، وكذلك بصفته مظلوماً مهتضماً.

العاقبة التي تنتظر العباس عليه السلام

ثمّ نقرأ في الزيارة:

«فَجَزاكَ اللهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَ الجَزاءِ بِما صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَأَعَنْتَ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ».

في هذه المقطوعة نقرأ العاقبة التي تنتظر أولئك الذين يتصفون بتلك الصفات المثلى، أي: التسليم والتصديق والوفاء والنصيحة إلى آخر حياتهم.

والعقبى هي: أنّ الله سبحانه وتعالى سيجزيهم جزاءً مضاعفاً، فهو الربّ الرحمان الرحيم، يجزيهم الجزاء الأوفى كما يجزيهم عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، باعتبار أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام احترم رسول الله واتّبع نهجه وحفظ وصيته في ذريّته، كما فعل مثل ذلك بالنسبة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك بالنسبة إلى الإمام الحسن والحسين عليهما السلام.

ومن هنا فقد جزاه الله سبحانه وتعالى أفضل الجزاء، فأبو الفضل العباس عليه السلام قد صبر واحتسب، وأصابه التعب والعنت في قيامه بواجبه، وكلّ هذه الصفات قُوبلت بالجزاء الحسن من قِبل الله سبحانه وتعالى.

نموذج الصبر والاستقامة

أمّا صبر أبي الفضل العباس عليه السلام فهو بقاؤه مع أخيه بالرغم من الإغراء الذي قدّمه له شمر بن ذي الجوشن، حيث أخذ أماناً للعباس عليه السلام من أميره

عُبيد الله بن زياد لعنة الله عليه، أخذ منه أماناً وجاء إلى مخيم الحسين عليه السلام في ليلة عاشوراء ونادى العباس، فلمّا جاء إليه قال: ماذا تريد؟

قال: جئت إليك بالأمان لك ولإخوانك الذين معك، أي إخوانه من أمّ البنين، لأنّ أمّ البنين كانت من بني كلاب وكان الشمر أيضاً من نفس القبيلة.

فردّ عليه العباس وإخوته ردّاً شديداً وقالوا له: **(لَعَنَكَ اللهُ ولَعَنَ أمانَكَ، أَتُؤمِنُنا وَابنُ بِنتِ رَسولِ اللهِ لَا أَمَانَ لَهُ؟)**[1]، فارتدّ الشمر على أعقابه خاسراً.

هذا هو الصبر والاستقامة من أبي الفضل العباس، فقابله الله سبحانه وتعالى بالجزاء الحسن.

النفس الأبيّة المؤمنة

وكذلك كان احتسابه، بمعنى أنّ ما قدّمه أبو الفضل عليه السلام إنّما عمله لله سبحانه وتعالى، ولم يعمل عملاً لشهرةٍ أو فخرٍ أو ما أشبه.

ولذلك نقرأ في أراجيز وَرَدتْ عن أبي الفضل العباس عليه السلام لتعبّر عن تلك النفس الأبيّة المؤمنة الصادقة التي ملؤها الصدق والوفاء، يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني[2] ... أو يقول في بعض أرجوزاته:
يَا نَفْسُ لَا تَخْشَيْ مِنَ الكُفَّارِ ... وَأَبْشِرِي بِرَحْمَةِ الجَبَّارِ

(١) تاريخ الطبري (**محمد بن جرير الطبري**)، ج٤، ص٣١٤-٣١٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤١.

مَـعَ النَّبِـيِّ السَّـيِّدِ المُخْتَـارِ قَـدْ قَطَعُـوا بِبَغْيِهِـمْ يَسَـارِي
فَأَصْلِهِـمْ يَـا رَبِّ حَـرَّ النَّـار [١]

أو يقول:

وَاللهِّ إِنْ قَطَعْتُـمُ يَمِينِـي إِنِّي أُحَامِـي أَبَـداً عَـنْ دِينِـي
وَعَـنْ إِمَـامٍ صَـادِقِ اليَقِـينِ نَجْـلِ النَّبِـيِّ الطَّاهِـرِ الأَمِـين [٢]

التقرّب إلى الله بتحمّل المصائب

فأبو الفضل العباس عليه السلام احتسب كلّما توالت عليه من المصائب عند الله، أي جعلها قربةً إلى الله سبحانه وتعالى.

هذا الاحتساب، وهذه النية الخالصة، وهذا اليقين الإيماني الصادق، جُوزي من قِبل الله سبحانه وتعالى بحسن العاقبة.

وأبو الفضل العباس عليه السلام ربما كان أكثر مَنْ أصابته المصائب الكبيرة من بين شهداء كربلاء، فمن جهة كان العباس يطلب الماء ولم يكن يخوض الحرب حسب بعض الروايات، ومن جهة ثانية فإنّ العباس عليه السلام قُطِعت يداه في سبيل الله وهو في مهمة طلب الماء، وماذا يملك المحارب المؤمن غير يدين يقاتل بهما في سبيل الله؟

ثمّ أُريق ماء القربة التي كان يحملها، وكانت في تلك القربة كلّ آماله وكلّ طموحاته وكلّ حياته، فحينما أريق ماؤها وقف آيساً من الحياة، مُوَطِّناً على الموت نفسَه، ينظر إلى القطرات التي تتساقط من تلك القربة بنظرة حسرة!

---

(١) مناقب آل أبي طالب (**ابن شهر اشوب**)، ج٤، ص ١٠٨.
(٢) مناقب آل أبي طالب (**ابن شهر اشوب**)، ج٤، ص ١٠٨.

وكأنّها دم مهجته يسيل على الأرض.

وحينما رأى الأعداء يديه تنزفان الدم، والقربة قد أصبحت خالية من الماء، والحسرة قد استبدّت بنفس أبي الفضل العباس عليه السلام على تلك المياه التي أُريقت، أمر قائد القوات المعادية الجيش بأن يرشقوه بالسهام، فإذا بالسهام تترى عليه كالمطر، حتى أصبح كالقنفذ من كثرة السهام التي نبتت في جسمه الشريف عليه السلام، فقد أصابت السهام كلّ أطراف جسده، حتى وجهه الشريف، وحتى عينه أصابها سهم، وبعد ذلك جاءه اللعين بالعمود وضربه على هامته، فخرّ صريعاً إلى الأرض.

بين الدنيا والآخرة

إنّ المصائب التي وردت على سائر الشهداء اجتمعت على أبي الضل العباس عليه السلام، ولكنه صبر واحتسب.

ومن ذلك ما يقوله الشاعر العلوي:

عَمَد الحديدِ بكربلا خسفَ القمر مِـن هاشـم فَلْتَبكِـه عَلْيـا مُـضَر
فمشـى إليـهِ السِّـبطُ ينعـاهُ كسرتَ الآن ظهـري يـا أخـي ومعينـي

صحيح أنّ يوم عاشوراء كان طويلاً، لما تحمَّله أهل البيت في ذلك اليوم من المصائب، ولكنه بالتالي انقضى.

أمّا الآخرة فهي تبقى ونعيمها لا يزول، والحكيم السديد العاقل الرشيد هو الذي يفضّل الآخرة على الأولى. وهكذا كان أبو الفضل العباس عليه السلام: «**فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**» داره دارُ أمنٍ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

ثمّ تقول الزيارة:

«لَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ حالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ماءِ الفُراتِ».

لا يكفي للإنسان المؤمن أن يتولّى أولياء الله، بل لابد أن يتبرّأ من أعداء الله أيضاً.

والتبرّي من أعداء الله يعني التبرّي من تلك الصفات السيّئة التي تجسّدت فيهم، ومن ذلك السلوك الشيطاني الذي كان لهم.

ولذلك حينما نلعن أولئك الذين وقفوا في وجه أبي الفضل العباس عليه السلام ونتبرّأ منهم، إنّما نلعن كذلك الصفات التي تمثّلت فيهم فنقول:

«لَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ»

بلى إنّ الله يلعن من يقتل الصالحين من عباده، لـ﴿**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[1]، ويكون بذلك ظالماً، والله يلعن الظالمين.

«وَلَعَنَ اللهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ».

يلعن الله سبحانه وتعالى من يجهل حقّ المؤمنين المجاهدين ولا يحترمهم، وقد جهلوا حق أبي الفضل العباس عليه السلام، فقاوموه وحاربوه.

وكذلك لعن الله من تجاوز الحدود:

«وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ».

ممّن تجاهل الحق وتجاهل الحرمة، أي استخفّ بتلك الحدود التي وضعها

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

الله سبحانه وتعالى لعباده.

فـ«**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» كما جاء في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[1]، ولكن هل كان أهل الكوفة الذين حاربوا الحسين عليه السلام يحترمون رسول الله وكلماته المضيئة؟

إذاً لماذا قاوموا الحسين، ولماذا قتلوه دفاعاً عن ابن زياد وعن سلطته الطاغية؟ إنهم قد استخفوا بحرمة الحسين وبحرمة العباس عليهما السلام.

وأكثر من ذلك:

«**وَلَعَنَ اللهُ مَنْ حالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ماءِ الفُراتِ**»

ومن تلك الحرمات التي اخترقها أولئك الطغاة واستخفّوها كانت حرمة حقّ الإنسان في الماء، وحقّ أبي الفضل العباس عليه السلام في الماء، حيث كان يحمله إلى العطاشى من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأطفال والنساء، فحالوا بينه وبين ماء الفرات، فاستحقّوا اللعنة، لأنّهم قاموا بعملٍ بشع، عملٍ لا يرضاه الله سبحانه وتعالى، فأبعدهم الله سبحانه وتعالى عن رحمته.

وماذا تعني اللعنة غير ذلك؟

لماذا لعن الظالمين؟

من الناس من يشكّك في جدوى لعن الظالمين، وكأنّ قلبه أكثر رحمة من قلب أولياء الله.

إن هؤلاء الذين يشكّكون في ذلك يقعون -شاؤوا أم أبوا- في فخ الدفاع عن الظالمين وعن الظلم، وبالتالي يشاركون أهل الظلم والظالمين والعتات

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (**المعروف بمجموعة ورّام**)، ج١، ص١١٥.

في أفعالهم، لأنّ الذي يجمع الإنسان والإنسان إنّما هو الحبّ والرضا، فإذا أحببتَ عمل قومٍ ورضيتَ به شاركتهم في عملهم سواء كان خيراً أم شراً.

من هنا كان واجباً على الإنسان إذا سمع أو رأى إنساناً منحرفاً قاتلاً طاغياً أن يتبرّأ منه ويلعنه، لكي لا يشاركه في عمله، وهذا هو ما يعتبره الرسول ﷺ أضعف الإيمان، فقد قال ﷺ:

«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الإِيمَانِ» وَفِي رِوَايَةٍ: **«إِنَّ ذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»**[1].

والإنكار بالقلب هو اللعنة، أي أن يلعن هذا الإنسان الذي يقوم بالمنكر، وأن يتبرّأ من عمله ولا يرضى به.

واللعنة -إضافة إلى ذلك- تنفع في فرز الخطوط، لكي لا تختلط على الإنسان السبل، فلا بدّ أن يتميّز سبيل الحق عن سبيل الباطل. ومن لا يلعن الظالمين قد يقع في الظلم من حيث لا يدري، لأنّه لا يعرف ما هو الظلم، ولأنّه لا يتبرّأ من الظلم فإنّه لا يملك الحساسية ضد الظلم، فتختلط عنده الأوراق.

المواقف المعلنة لمصلحة الحق

ثمّ تأتي في الزيارة هذه الكلمة:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُوماً، وَأَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ».

بلى، بعد التولّي والتبرّي هناك مرحلة الشهادة، والشهادة تعني أن يكون الإنسان في مستوى الإعلان عن مواقفه، فالمواقف السرية والمواقف

(١) عوالي اللئالي، ج١، ص٤٣١.

الشخصية لا تنفع، ولابد أن تتحوّل المواقف الإيمانية إلى مواقف ظاهرة، ولذلك فإنّك حينما تشهد (**أن لا إله إلّا الله**) فإنّ معنى ذلك أنّك قد أعلنت موقفك بصراحة ووضوح، وهكذا حينما تشهد (**أنّ محمّداً رسول الله**) صلى الله عليه وآله وسلم.

كذلك ينبغي أن تشهد بأنّ العباس عليه السلام قد قُتِلَ مظلوماً، وأنْ يُقْتَل العباس مظلوماً يعني أنّ القَتَلَة الظالمين يستحقون اللعنة والبراءة والمقاومة.

العباس وأحسن الجزاء

كذلك تشهد بأنّ طريق العباس عليه السلام كان طريق حقٍ انتهى إلى جزاء الله الحسن، وهذا شيءٌ مهم جداً أن نتأكّد من الطريق، لأنّه إذا كان طريق سيّدنا العباس حقاً، فإنّ من يسلك هذا الطريق سينتهي إلى ما انتهى إليه العباس.

والعباس انتهى إلى عقبى الدار وإلى جزاء الله الأوفى، وإلى أفضل الجزاء، وأنت أيّها المؤمن إذا سلكتَ ذلك المسلك، فإنّ الله سبحانه وتعالى سينجز لك ما وعدك:

«**وَأَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ**».

ونحن نلاحظ أنّ ضمير الخطاب جاء بصيغة المفرد في الفقرة الأولى من الكلمة: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُوماً**» بينما جاء بصيغة الجمع في الفقرة الثانية: «**وَأَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ**» لماذا؟

لأنّ العباس عليه السلام لم يكن وحده في هذا السبيل، بل كان هو وكان الشهداء من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأبرار، وكلّ الذين يسلكون ذلك المسلك وينتهجون ذلك المنهج.

موقفنا من النهج العباسي

ثم نقرأ في الزيارة:

«جِئْتُكَ يَابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَافِداً إِلَيْكُمْ، وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتابِعٌ، وَأَنَا لَكُمْ تابِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ، لا مَعَ عَدُوِّكُمْ، إِنِّي بِكُمْ وَبِإِيابِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِمَنْ خالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الكافِرِينَ، قَتَلَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بِالأَيْدِي وَالأَلْسُنِ».

في هذه الفقرة من الزيارة يتجسّد موقفنا اليوم تجاه مسيرة أبي الفضل العباس عليه السلام ونهجه الذي سلكه.

فموقفنا ينبغي أن يكون كالتالي:

أوّلاً: الوفود إلى أهل بيت الرسالة، أي زيارتهم، للإعلان عن موقفنا الإيجابي التام تجاههم: «**جِئْتُكَ يَابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَافِداً إِلَيْكُمْ**» ثمّ التسليم لهم: «**وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتابِعٌ**» ليس التسليم الجسمي فقط، وإنّما التسليم القلبي، باعتبار أنّ القلب هو مركز الحبّ العميق الذي يربطنا بهم، والرضا الشامل الذي نتحسّس به تجاه أفعالهم، وكذلك اتّباع منهجهم: «**وَأَنَا لَكُمْ تابِعٌ**» قلبي تابع لكم بالنية وجسمي تابع لكم بالعمل.

ثمّ: «**وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ**»، إنّ زيارتنا للعباس عليه السلام لا بدّ أن تنعكس على حياتنا، وذلك بالاستعداد لنصرة العباس، أي نصرة الدين الذي من أجله دافع العباس وحارب الظالمين، ونصرة الولاية التي من أجلها قُتِلَ أبو الفضل العباس.

الانتماء الواعي

«حَتّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ»

هنا تأكيد على الانتماء الواعي إلى خط الرسالة، لأنّ المؤمن الذي يزور العباس عليه السلام ينتمي إلى خط الرسالة. إنّ المؤمن الذي يزور العباس ينتمي إلى خطّه، فيكون معه وينفصل نفسياً وعملياً وسلوكياً عن أعدائه.

«إِنّي بِكُمْ وَبِإِيابِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنينَ»

فأنا مؤمن بالعباس عليه السلام وبالنهج الرباني الذي كان العباس عليه، وبالعقبى التي تنتظر المؤمنين، وهي نصرة الحق على الأرض، ثمّ:

«وَبِمَنْ خالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الكافَرينَ».

القتل باللسان

ثمّ نقول:

«قَتَلَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بِالأَيْدي وَالأَلْسُنِ».

هنا إشارة إلى معنى لطيف جداً، وهو: أنّ الذين خالفوا أبا الفضل العباس عليه السلام وقاتلوه كانوا على نمطين:

النمط الأوّل: الذين خالفوه وقاتلوه بالعمل.

والنمط الثاني: الذين خالفوه وقاتلوه بالقول.

والنمط الأوّل معروف، ولكن من الذي قتل العباس بلسانه؟

هم قضاة الجور، وفي مقدمتهم شريح القاضي الذي أفتى بهدر دم الحسين عليه السلام ومن معه، هؤلاء قتلو الحسين بألسنتهم وبأقلامهم وبفتاواهم،

كما قتلوا أبا الفضل عليه السلام. ومنْ بعد هؤلاء، كلّ الذين يدافعون عن خطّ شُريح القاضي وخطّ ابن زياد وخطّ الطغاة، وهم الإعلاميون، ووعّاظ السلاطين، وقضاة الجور، والكُتّاب المتملّقون، كلّ هؤلاء يشاركون في قتل الشهداء والعلماء وقتل أبي الفضل العباس، حيث يقتلونهم بالألسن.

الشهيد هو العبد الصالح

ثمّ جاء في الزيارة: ادخل وانكبّ على القبر وقل:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا العَبْدُ الصّالِحُ، المُطيعُ لله وَلِرَسُولِهِ وَلِأَميرِالمُؤْمِنينَ وَالحَسَنِ والحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوانُهُ، وَعَلى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ».

في هذه الفقرة من الزيارة، حيث يدخل المؤمن إلى داخل حرم أبي الفضل العباس، وينكبّ على قبره الشريف، ويتذكّر مصائبه الأليمة، هنا يسلّم عليه سلاماً نابعاً من الإيمان بالمستوى الرفيع لأبي الفضل العباس عليه السلام في الصلاح والتقوى وطاعة الله: **«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا العَبْدُ الصّالِحُ»** فهو عبدٌ لله وصالحٌ ومطيعٌ لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام.

هنا لا تنفصل زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام عن العقائد التي يحملها المؤمن، فأبو الفضل العباس على عظيمِ منزلته عند الله سبحانه وتعالى ورفيعِ درجته، يبقى عبداً مطيعاً لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين، فهو يتميّز بميزة الطاعة لله ولأوليائه، وهذه الطاعة جعلت أبا الفضل العباس الرقم الأول في مسيرة المؤمنين بالله ورسالته، إلّا أنّه لن يصل إلى مستوى الأئمّة الأطهار، باعتباره عبداً مطيعاً لله ولرسوله وللأئمّة.

ثمّ نسلم عليه وندعو الله أن ينزّل عليه الرحمة والبركة والمغفرة والرضوان على روحه وبدنه.

المجاهدون ووِحدة المسير والمصير

ثمّ يأتي في الزيارة قوله:

«أَشْهَدُ وأُشْهِدُ اللهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى ما مَضى بِهِ البَدْرِيُّونَ وَالمُجاهِدُونَ فِي سَبيلِ الله، المُناصِحُونَ لَهُ فِي جِهادِ أَعْدائِهِ، المُبالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيائِهِ، الذّابُّونَ عَنْ أَحِبّائِهِ».

هنا تتصل زيارة أبي الفضل العباس بالتاريخ الإسلامي، وبالذات بوحدة المسيرة بين الذين جاهدوا في بدر كفار قريش، والذين جاهدوا في كربلاء أيضاً كفار قريش، والفرق هو أنّ البدريّين جاهدوا أبا سفيان المعلِن للكفر والضلالة، أمّا الكربلائيون -وفي طليعتهم أبو الفضل العباس عليه السلام- فقد جاهدوا حفيد أبي سفيان: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان المتستّر بالدين، المنافق، اللعين ابن اللعين، ولا فرق بين البدريّين وبين أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في الطف، لأنّ النتيجة هي واحدة، وهي مجاهدة الكفر، سواء الكفر المبطن أو الكفر الظاهر، فكلٌّ منهما يؤدّي إلى الفساد في الأرض.

والجهاد هو الجهاد ضد ذاك وهذا، لا فرق بينهما، لذلك جاء في هذه المقطوعة من الزيارة:

«أَشْهَدُ وأُشْهِدُ اللهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى ما مَضى بِهِ البَدْرِيُّونَ»

فالبدريّون أطاعوا الله وأطاعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو الفضل العباس أطاع الله وأطاع الرسول، ثمّ جاهد أعداء الله وأعداء الرسول.

«وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبيلِ اللهِ الْمُناصِحُونَ لَهُ فِي جِهادِ أَعْدائِهِ»

الجهاد واجب شرعي يلتزم به كثير من الناس، ولكنّ قلّة منهم يكون مجاهداً مناصحاً مخلصاً، وكذلك قلّة منهم يبذل كلّ ما يملك في سبيل الله، هؤلاء هم:

«الْمُبالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيائِهِ»

فالمرتبة المتقدّمة من الجهاد هي المبالغة في نصرة أولياء الله، أي أن يقدّم المجاهد كلّ ما يملك في هذا السبيل.

«الذّابُّونَ عَنْ أَحِبّائِهِ»

والمجاهد يدافع عن أحباء الله، وهم هنا الحسين عليه السلام وأهل بيته الذين قام أبو الفضل العباس عليه السلام بالذبِّ عنهم.

الزيارة والعلاقة بالله

ثمّ جاء في الزيارة:

«فَجَزاكَ اللهُ أَفْضَلَ الجَزاءِ، وَأَكْثَرَ الجَزاءِ، وَأَوْفَرَ الجَزاءِ، وَأَوْفى جَزاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفى بِبَيْعَتِهِ، وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَأَطاعَ وُلاةَ أَمْرِهِ».

في هذا الفقرة يبدأ الزائر الدعاء، والدعاء جزءٌ لا يتجزّأ من الزيارة، لأنّ أساس الزيارة هو الارتباط بالله سبحانه وتعالى عبر أوليائه، فلا يجوز أن تنفصل عن الدعاء، لذلك تجد أنّ (زيارة أمين الله) مثلاً -وهي من الزيارات المهمّة والمعروفة- يشكّل الدعاء فيها الجزء الأكبر، لماذا؟

لأنّك حينما تقف أمام قبر وليٍّ من أولياء الله، تكون قريباً من الله سبحانه وتعالى، حيث يستجيب دعاءك، فتستفيد من هذه الفرصة النادرة وتدعو الله

سبحانه وتعالى، ومن أوّل وأهمّ الأدعية هو الدعاء لذلك الوليّ الذي تقف عنده، فمن دعا لوليٍّ من أولياء الله دعت له الملائكة مثله.

وهنا يقف الزائر عند قبر أبي الفضل العباس عليه السلام ويقول:

«فَجَزاكَ اللهُ أَفْضَلَ الجَزاءِ، وَأَكْثَرَ الجَزاءِ، وَأَوْفَرَ الجَزاءِ، وَأَوْفى جَزاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفى بِبَيْعَتِهِ».

الطاعة والوفاء بالبيعة

أمّا منطلق هذا الدعاء عند المؤمن فهو أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام وفى ببيعته، والوفاء بالبيعة خُلُقٌ عظيم لا يرقى إليه إلّا الممتحَنون من عباد الله الصالحين.

وكذلك:

«وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَأَطاعَ وُلاةَ أَمْرِهِ»

أطاع الإمام الحسين عليه السلام الذي كان ولياً لأمر الله.

أعلى درجات العطاء

ثمّ جاء في الزيارة:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ فِي النَّصيحَةِ، وَأَعْطَيْتَ غايَةَ المُجْهُودِ».

هنا يقول الإمام الصادق عليه السلام -الذي تُروى الزيارة عنه- إنّ عمّه العباس عليه السلام بالغ في النصيحة، أي: وصل إلى الدرجات العليا في النصح وفي خلوص النية وخلوص العمل، **«وَأَعْطَيْتَ غايَةَ المُجْهُودِ»**، كانت نيّته خالصة من كلّ شائبة، وعطاؤه أيضاً كان شاملاً بحيث لم يَدَعْ أبو الفضل

العباس عليه السلام في نفسه طاقة إلّا بذلها في سبيل الله، وهذه هي الصفة التي ينبغي أن تكون عند المؤمنين، فلا يكتفون ببذل أدنى الواجب عليهم، وإنّما يسعون ليبذلوا أغلى ما يملكون من العطاء في سبيل الله.

الشهداء في عليّين

ثمّ يقول في الزيارة:

«فَبَعَثَكَ اللهُ فِي الشُّهَداءِ، وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ أَرْواحِ السُّعَداءِ، وَأَعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ أَفْسَحَها مَنْزِلاً وَأَفْضَلَها غُرَفاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقاً».

هنا أيضاً نجد أنّ الإمام الصادق عليه السلام يشرح لنا القِيَم التي لا بدّ أن يتمثّلها الإنسان المؤمن ويستفيدها من حياة أبي الفضل العباس عليه السلام، ومن أعظم تلك القِيَم أنّ الإنسان لا بدّ أن يسعى لكي يكون في زمرة الشهداء، لكي تكون روحه مع أرواح السعداء، ولكي يحصل على الفسيح من جنان الله والفضل من غرف الجنة.

«**وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيّينَ**» وكذلك أن يكون ذكره رفيعاً في العليّين، أي عند الملائكة وعند الأنبياء وعند الأوصياء، فالإنسان يحبّ الذكر الجميل، ولكن عند مَنْ؟ عند الصالحين من عباد الله، لأنَّ الذكر الجميل عند الصالحين يعني أنْ يكون الإنسان من قدوات أولئك الصالحين، أو لا أقل من الذين يُحشرون معهم: «**وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً**».

ولا ريب أنّ هذه المنزلة الرفيعة إنّما حصل عليها أبو الفضل العباس لمدى تسليمه لله وللرسول، لأنّ من سلّم لله ولرسوله حُشِر مع النبيين والشهداء والصالحين.

العباس والبصيرة الثاقبة

ثمّ يأتي في الزيارة:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى بَصيرَة مِنْ أَمْرِكَ، مُقْتَدِياً بِالصّالِحِينَ، وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيّينَ».

هذه الشهادة شهادة حق، شهد بها الإمام الحق صادقُ أهل بيت رسول الله، جعفرُ بن محمّد عليه السلام لعمّه العباس عليه السلام، كما نشهد له نحن جميعاً بأنّه لم يَهِن، إذ الوَهْن ليس من صفات المؤمن بل هو من صفات من لا يملك القدر الكافي من التوكّل على الله والثقة بنصره: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[1]، فالمؤمن لا يهن لأنّ قلبه يتصل بنور ربّه، ولأنّ قوّته وعزيمته وإرادته وبصيرته كلّها تُستَمَدّ من الله سبحانه وتعالى، فكيف يهن؟ كما أنّه لا يَنْكُل، أي لا يغيّر من واجباته ومن الوفاء بما أُمِر به، فهو في قلبه صامد وصلب وصادق، وفي عمله مستقيم ومستمر.

«وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى بَصيرَة مِنْ أَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصّالِحِينَ وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيّينَ»

مضى أبو الفضل العباس يَهِن وهو يعلم لماذا يحارب وما هو هدف قتاله. كان بصيراً في دينه، وكان عالماً وفقيهاً عارفاً بأنّ طريقه هو الطريق الصحيح، لم يدخله الشكّ والريب، ولم يدخله الوهن والخور، ولم يرقَ إليه أيّ نوع من أنواع التردّد والاضطراب. كان قلبه مطمئناً بالإيمان، ولذلك كانت رؤيته رؤية واضحة شفافة، وكان على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين، وقد جعل أمامه قدواته الصالحين نبراساً واقتدى بهم في حياته واتبع النبيين خطوةً فخطوة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

مع العباس ومع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ثمّ نقول في الزيارة:

«فَجَمَعَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِهِ وَأَوْلِيائِهِ فِي مَنازِلِ الْمُخْبِتِينَ، فَإِنَّهُ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ».

هذا دعاء قصير من ناحية الكلمات، ولكنّه عظيم من ناحية المحتوى، لأنَّ الإمام الصادق عليه السلام يدعو الله سبحانه وتعالى عند قبر عمه بأن يجمعه الله مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومع أبي الفضل عليه السلام، وإنّما يُجمع مع أبي الفضل العباس مَنْ كان في طريقه، وكذلك يكون مع الرسول مَنْ يتبع الرسول، وكذلك يكون مع الأولياء مَنْ يقتدي بهم.

وهناك في الجنة منازل عديدة، ومِن أعلاها منزلة هي منازل المخبتين الذين سلّموا لله أمورهم، والذين لم يشكّوا في طريقهم، والذين لم يتردّدوا في تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، ولذلك فإنّنا نسأل الله أن يجمع بيننا وبين أبي الفضل العباس **«فِي مَنازِلِ الْمُخْبِتِينَ، فَإِنَّهُ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ»**.

الدعاء وتطلّعات المؤمنين

ثمّ قال الشيخ المفيد: توجّه إلى الرأس الشريف وصلِّ ركعتين وادعُ بعدها بما شئت، وأكثر من الدعاء وقل:

«اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلا تَدَعْ لِي فِي هذَا الْمَكانِ الْمُكَرَّمِ وَالْمَشْهَدِ الْمُعَظَّمِ ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلا هَمّاً إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلا مَرَضاً إِلَّا شَفَيْتَهُ، وَلا عَيْباً إِلَّا سَتَرْتَهُ، وَلا رِزْقاً إِلَّا بَسَطْتَهُ، وَلا خَوْفاً إِلَّا آمَنْتَهُ، وَلا شَمْلاً إِلَّا جَمَعْتَهُ، وَلا غائِباً إِلَّا حَفِظْتَهُ وَأَدْنَيْتَهُ، وَلا حاجَةً مِنْ حَوائِجِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ لَكَ فيها رِضىً وَلِيَ

فِيهَا صَلاحٌ إِلَّا قَضَيْتَها يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ».

هذا الدعاء يشتمل على مختلف التطلعات التي ينبغي للمؤمن أن يطمح إليها، فما دام الإنسان يعيش في أجواء روحية عند زيارة أولياء الله وبالذات زيارة أبي الفضل العباس، فإنّه يعيش في رحاب الإيمان، قريباً من ربّ العزّة، فلماذا لا يدعو بما يحتاجه من غفران الذنوب، وتفريج الهموم، وشفاء الأمراض، وستر العيوب، وبسط الرزق، والأمن من الخوف، واجتماع الشمل، وحفظ الغائبين، وأداء دَيْن الدائنين، وقضاء كلّ الحوائج في الدنيا والآخرة؟

ونستفيد من هذا الدعاء وسائر الأدعية في الأبواب المختلفة أنّ المؤمن طَموحٌ إلى أبعد الحدود، فهو لا يقتصر في دعائه على جانب دون جانب، وإنّما يتطلّع إلى الحياة السعيدة الخالدة في الدنيا والآخرة، الحياة التي لا يشوبها لا مرضٌ ولا خوفٌ ولا دَيْنٌ ولا هَمٌّ، ولا أيُّ نوع من أنواع الأذى، ومن هنا فنحن أيضاً نضمّ صوتنا إلى صوت الداعين ونطلب من الله ما يطلبون لأجل سعادة الدنيا والآخرة.

زيارة متميّزة

ثمّ يأتي في بقية الزيارة أنْ ارجع إلى الضريح وقف عند الرجلين وقل:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبَا الفَضْلِ العَبّاسَ ابْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ».

الملاحظ في هذه الفقرة أنّ زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام تكون من جوانب عديدة: من الوقوف من حيث وجهه؛ حيث تدخل قبره وضريحه من لدن باب القبلة، وتقف أمام وجهه الشريف حسب ما يضعون الميت في قبره، وزيارة أخرى أو دعاء آخر عند الرأس الشريف، وهذه الزيارة والدعاء

عند الرجلين، بينما نجد في كثير من الزيارات للأضرحة أن الزيارة تقتصر على طرف واحد، وهذا يدلّ على مزيد من الاهتمام بزيارة أبي الفضل العباس الذي كان بالفعل أباً للفضل، وقد أبى الجود والفضل إلا أن تكون له أباً.

العباس.. ابن مَنْ؟

ثمّ يقول الزائر:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ سَيِّدِ الوَصِيّينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ أَوَّلِ القَوْمِ إِسْلاماً، وَأَقْدَمِهِمْ إِيمَاناً، وَأَقْوَمِهِمْ بِدينِ اللهِ، وَأَحْوَطِهِمْ عَلَى الإِسْلامِ».

هنا تؤكّد الزيارة على جملة صفات للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لنعرف مدى عظمة العباس عليه السلام الذي كان من تلك الذرية الطيبة، إذ كان ابناً ونجلاً لأمير المؤمنين وسيّد الوصيين الذي كان **«أَوَّلِ القَوْمِ إِسْلاماً، وَأَقْدَمِهِمْ إِيمَاناً، وَأَقْوَمِهِمْ بِدينِ اللهِ»** أي كان يُحيي قِيَم دين الله بكلّ أبعاده، ويحتاط على الإسلام من جميع جوانبه.

العباس.. المواسي المخلص

ثمّ يقول الزائر:

«أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَخِيكَ فَنِعْمَ الأَخُ المُواسِي لِأَخِيهِ»

الأخوّة رابطة مادية بين الشخصين، إلّا أنّ الأخ المؤمن يرتفع بهذه الرابطة إلى مستوى الإيمان، ويجعل المواساة لأخيه وسيلةً للتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، وهكذا كان العباس عليه السلام، حيث جعل مواساته لأخيه أفضل مواساة.

مرّة أخرى.. البراءة من أعداء الله

ونقرأ في الزيارة:

«فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً اسْتَحَلَّتْ مِنْكَ المَحارِمَ، وَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الإِسْلامِ».

إنّ المؤمن في نفس الوقت الذي يتملّى ويتشبَّع بالموالاة للصالحين مِن عباد الله، يتبرّأ -في الوقت ذاته- مِن أعداء الله ويلعنهم لعناً وبيلاً، وهكذا نلعن الذين قتلوا أبا الفضل عليه السلام، والذين ظلموه، والذين استحلّوا منه المحارم.

ولكن التعبير هنا يأتي بكلمة «**أُمَّة**» لأنّ هناك أمّة الخير وأمّة الصلاح، وهناك أمّة الفساد وأمّة الشّر، ونحن نتبرّأ من كلّ مَن ينتمي إلى أمّة الفساد والشّر، سواء شارك بصورة مباشرة في قتل أبي الفضل العباس، أو دعم تلك الأمّة الظالمة المضلّة بأيّ نوعٍ من أنواع الدعم.

كيف انتهكوا حرمة الإسلام؟

كما نقرأ في هذه المقطوعة:

«وَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الإِسْلامِ»

فقتلُ أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأصحابه كان -في الحقيقة- فتحاً للباب أمام كلّ الشر، وأمام كلّ انتهاكٍ للحرمات، فما دام الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قُتِلَ بهذه الطريقة الفجعية فلن تبقى حرمةٌ لأحد.

أبوالفضل العباس.. مَنْ كان؟

أمّا أبو الفضل العباس عليه السلام، فبالرغم من مواجهته لتلك المأساة، فإنّه

بقي صامداً كالطود الشامخ.ولذلك نقرأ في بقية الزيارة:

«فَنِعْمَ الصّابِرُ المُجاهِدُ المُحامِي النّاصِرُ وَالأَخُ الدّافِعُ عَنْ أَخيهِ، المُجيبُ إِلى طاعَةِ رَبِّهِ، الرّاغِبُ فيـما زَهِدَ فيهِ غَيْرُهُ مِنَ الثَّوابِ الجَزيلِ وَالثَّناءِ الجَميلِ».

هنا تُعدِّد الزيارة صفات تمثّلت في أبي الفضل العباس عليه السلام، حيث كان صابراً ونعم الصابر، وكان مجاهداً ونعم المجاهد، وكان محامياً عن الدين ونعم المحامي، وكان ناصراً وأخاً مدافعاً عن أخيه المجيب إلى طاعة ربه.

حينما دعا الإمام الحسين إلى تلك الدعوة التي لا تزال تدوّي في جنبات الأرض: **«أَمَا مِنْ مُغِيثٍ يُغِيثُنَا لِوَجْهِ الله؟ أَمَا مِنْ ذَابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ الله؟»**[1] كان أبو الفضل العباس عليه السلام أوّل من استجاب لتلك الدعوة، وكان:

«الرّاغِبُ فيـما زَهِدَ فيهِ غَيْرُهُ»

فالناس يرغبون في الدنيا ويزهدون في الآخرة، أما أبو الفضل عليه السلام فقد رغب في الآخرة وزهد في الدنيا!

وكانت رغبته في الآخرة متمثّلة في أنّه كان يريد الثواب الجزيل والثناء الجميل.

وهذه الصفات هي الصفات التي ينبغي على زائر أبي الفضل العباس عليه السلام أن يتعلّمها من ذلك المعلم العظيم.

في جنّات النعيم

ويمضي الزائر في حديثه مع أبي الفضل العباس عليه السلام داعياً له:

(١) بحارالأنوار، ج٤٥، ص ١٢.

«وَأَلْحَقَكَ اللهُ بِدَرَجَةِ آبَائِكَ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ»

وهذا هو الثواب الجزيل والثناء الجميل الذي انتظره أبو الفضل عليه السلام، فأصبح في زمرة آبائه في دار النعيم.

ثمّ يدعو الزائر بهذا الدعاء وهو يعيش اللحظات الأخيرة من زيارته لأبي الفضل العباس عليه السلام:

«اَللّـهُمَّ إِنّي تَعَرَّضْتُ لِزِيارَةِ أَوْلِيائِكَ، رَغْبَةً فِي ثَوابِكَ وَرَجاءً لِمَغْفِرَتِكَ وَجَزيلِ إِحْسانِكَ»

وهذه الكلمات تدلّ على أنّ من يزور أبا الفضل العباس عليه السلام يحصل على الثواب والمغفرة وجزيل الإحسان.

ثمّ يقول الزائر:

«فَأَسْاَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ الطّاهِرينَ، وَأَنْ تَجْعَلَ رِزْقي بِهِمْ دارّاً، وَعَيْشي بِهِمْ قارّاً، وَزِيارَتي بِهِمْ مَقْبُولَةً، وَحَياتي بِهِمْ طَيِّبَةً».

ويقول:

«وَأَدْرِجْني إِدْراجَ المُكْرَمينَ، وَاجْعَلْني مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ زِيارَةِ مَشاهِدِ أَحِبّائِكَ مُفْلِحاً مُنْجِحاً، قَدِ اسْتَوْجَبَ غُفْرانَ الذُّنُوبِ وَسَتْرَ العُيُوبِ وَكَشْفَ الكُرُوبِ، إِنَّكَ اَهْلُ التَّقْوى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ».

ويستمرّ الزائر في الأجواء العطرة لحرم أبي الفضل العباس عليه السلام، ثمّ يقرأ القرآن، ويتلو الأدعية المختلفة، ويدعو لنفسه وللمؤمنين، وحينما يريد أن يودِّع ذلك الطود الإيماني الشامخ يقول:

«أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ وَأَسْتَرْعيكَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ اَلسَّلامَ، آمَنّا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ

وَبِكِتابِهِ وَبِما جاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ الله، اَللّـهُمَّ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدينَ، اَللّـهُمَّ لا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ مِنْ زِيارَتي قَبْرَ ابْنِ أَخي رَسُولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَارْزُقْني زِيارَتَهُ أَبَداً ما أَبْقَيْتَني».

هنا وبهذه الكلمات الأخيرة يدعو المؤمن بأن يستمر في زيارته لأبي الفضل عليه السلام في كلّ حين، ولا تكون آخر زيارة له.

في الختام.. كلمات الولاء

ثمّ يقول:

«وَاحْشُرْني مَعَهُ وَمَعَ آبائِهِ فِي الجِنانِ، وَعَرِّفْ بَيْني وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِكَ وَأَوْلِيائِكَ. اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَتَوَفَّني عَلَى الإِيمانِ بِكَ، وَالتَّصْديقِ بِرَسُولِكَ، وَالوِلايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب وَالأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَالبَراءَةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَإِنّي قَدْ رَضيتُ يَا رَبِّي بِذلِكَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد».

ويختم الزائر زيارته بهذه الدعوة حيث يتثبت إيمانه، ويزداد يقينه، ويحصل على شحنة ولائية جديدة للعودة إلى بلاده وهو في حالة نشطة واندفاع جديد من أجل تطبيق الإسلام على نفسه وعلى من يحيط به.

والحمد لله ربّ العالمين

الفهرس

المقدمة ٥
الزيارة الجامعة الكبيرة ٨
الزيارة الجامعة الصغيرة ٩
الشفاعة ١٠
القدوة والأسوة ١٠
توثيق العلاقة بأهل البيت عليهم السلام ١١
بصائر وفوائد ١٢

الفصل الأول:
زيارات المعصومين عليهم السلام

(١) زيارة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ١٥
بيان صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ١٦

(٢) زيارة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ١٩
وهذه هي أهداف الزيارة: ٢٢
وهذه من صفات الأئمّة عليهم السلام. ٢٥
الدعاء بعد الزيارة ٢٧
بصائر وفوائد ٣٠

(٣) زيارة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ٣١
الزيارة الشَّريفة المختصرة ٣٢
الزيارة المفصَّلة ٣٤
بصائر وفوائد ٣٧

(٤) زيارة الإمام الحسين عليه السلام (تأمّلات في زيارة عاشوراء) ٣٩
بصائر وفوائد ٤٧

(٥) زيارة الإمام الحسين عليه السلام (زيارة وارث) ٤٩
بين التولّي والتبرّي ٥٧
زيارة الشهداء ٦٣
بصائر وفوائد ٦٥

(٦) زيارة أئمّة البقيع عليهم السلام ٦٧
بصائر وفوائد ٧١

(٧) زيارة الإمام موسى الكاظم عليه السلام ٧٣
الجانب الأوّل: إذن الدخول ٧٣
الجانب الثاني: الزيارة الشريفة ٧٥
الجانب الثالث: موقفنا من الإمام عليه السلام ٧٧
بصائر وفوائد ٧٩

(٨) زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ٨١
وريث الأنبياء والأولياء ٨٣
بصائر وفوائد ٨٧

(٩) زيارة الإمام الجواد عليه السلام ٨٩
بصائر وفوائد: ٩٢

(١٠) زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام ٩٣
بصائر وفوائد ٩٥

(١١) زيارة آل ياسين ٩٧
زيارة الإمام المهدي (**عجل الله تعالى فرجه**) ٩٧
بصائر وفوائد ١٠٣

الفصل الثاني
الزيارات الجامعة

(١٢) زيارة أمين الله ١٠٧
الدعاء في الزيارة ١١١
الرغبة والشوق إلى الله ١١٢
بصائر وفوائد ١١٤

(١٣) الزيارة الجامعة الكبيرة ١١٧
مقدّمة ١١٧
والسؤال: كيف؟ ١١٨
الزيارة الجامعة ١١٩
١- صفات الأئمّة الأطهار عليهم السلام العامة ١٢٠
٢- دور أئمّة أهل البيت عليهم السلام ١٢٢
٣- المَثَلُ الأعلى في الخلق ١٢٣
٤- الإيمان بالأئمّة الكرام عليهم السلام ١٢٤
٥- شهادتنا لهم عليهم السلام ١٢٦
٧- نِعَم الله على الأئمّة عليهم السلام ١٣٠
٨- واجبنا تجاه الأئمّة عليهم السلام ١٣١
٩- مسؤولية الأمّة الإسلامية ١٣٤

١٠- الشهادة بالسابقية لهم عليهم السلام ١٣٥
١١- الولاء في حياة المؤمن..... ١٣٧
١٢- لماذا عقيدة البراءة؟..... ١٣٩
١٣- مكارم أهل البيت عليهم السلام ١٤١
١٤- طأطأ كلّ شريف لشرفهم ١٤٢
١٥- التوسّل والدعاء ١٤٥
بصائر وفوائد..... ١٤٧

ملحق:
تأملات في زيارة العباس عليه السلام

(١٤) تأملات في زيارة العباس عليه السلام..... ١٥١
قمّة الوفاء والنصيحة ١٥١
المقدمة ١٥١
تأمّلات في..... ١٥٣
زيارة العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام..... ١٥٣
سلام الله ١٥٣
سلام الملائكة..... ١٥٤
سلام الأرواح الطيبة..... ١٥٥
حركة الإنسان نحو الحق..... ١٥٥
التسليم للسبط المنتجَب..... ١٥٦
العاقبة التي تنتظر العباس عليه السلام ١٥٧
نموذج الصبر والاستقامة..... ١٥٧
النفس الأبيّة المؤمنة..... ١٥٨
التقرّب إلى الله بتحمّل المصائب ١٥٩
بين الدنيا والآخرة..... ١٦٠
لماذا لعن الظالمين؟ ١٦٢

المواقف المعلنة لمصلحة الحق ١٦٣
العباس وأحسن الجزاء..... ١٦٤
موقفنا من النهج العباسي ١٦٥
الانتماء الواعي..... ١٦٦
القتل باللسان ١٦٦
الشهيد هو العبد الصالح..... ١٦٧
المجاهدون ووِحدة المسير والمصير..... ١٦٨
الزيارة والعلاقة بالله ١٦٩
الطاعة والوفاء بالبيعة..... ١٧٠
أعلى درجات العطاء ١٧٠
الشهداء في عليّين ١٧١
العباس والبصيرة الثاقبة ١٧٢
مع العباس ومع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ١٧٣
الدعاء وتطلّعات المؤمنين ١٧٣
زيارة متميّزة..... ١٧٤
العباس.. ابن مَنْ؟..... ١٧٥
العباس.. المواسي المخلص ١٧٥
مرّة أخرى.. البراءة من أعداء الله..... ١٧٦
كيف انتهكوا حرمة الإسلام؟..... ١٧٦
أبو الفضل العباس.. مَنْ كان؟ ١٧٦
في جنّات النعيم..... ١٧٧
في الختام.. كلمات الولاء ١٧٩

شرح زيارات النبي وأهل بيته كنوز معرفة الله

وهذه السُّنَّة الشريفة -سُنّة الزيارة- كانت قائمة منذ صدر الإسلام، وكان الناس يزورون المراقد المشرفة، وحتّى في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان المسلمون يزورون مرقد سيد الشهداء -في عصره- حمزة بن عبدالمطلب، وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تزوره، وكان سائر المسلمين يزورونه، بل كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يزور البقيع، حتّى أنَّ آخر عمل قام به قبل انتقاله عن هذه الدنيا هي زيارة البقيع والاستغفار لأهله، فقد روي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لما مرض مرضه الّذي مات فيه خرج متعصّباً معتمداً على يد أمير المؤمنين عليه السلام والفضل بن العباس فتبعه الناس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَيُّها النَّاسُ انَّهُ قَدْ آنَ مِنِّي خُفُوقِي -يَعْنِي رَحِيلِي-، وَقَدْ أُمِرْتُ انْ اسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ البَقِيعِ»، ثمّ جاء صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل البقيع ثمّ قال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ التَّوْبَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الغُرْبَةِ، لِيُهْنِئْكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مَا النَّاسُ فِيهِ، أَتَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا»، ثُم استغفر لهم وأطال الاستغفار.

